Description of nature Rosin between Abu Bakr Alsanobary and Eben Wakee AlTinesy - comparative study -

مفردات الطبيعة الصامتة بين أبي بكر الصنوبري وابن وكيع التنيسي ـ دراسة موازنة ـ

أ.م.د. محمد حسين عبد الله المهداوي مكاسب عبادي عبود السلمان
جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية

بحـــــــث مستـــــــــل

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين ؛ محمد وآله الطيبين الطاهرين ...

أما بعد :

فإن الدراسات النقدية الموازنة تستهوي – اليوم - كثيراً من النقاد والباحثين ، وتبعد الملل والسأم عن الباحث والقارئ – على حدٍ سواء - وتبين مواطن التشابه والاختلاف بينهما ، وهذا ما يعطي فسحة من التفكير ، ويتيح حرية في الإطلاع ، وتنويعاً في المصادر ، يُبعد البحث عن رتابة الدراسة التي تدور حول شاعر واحد ، فضلاً عن كون هكذا دراسة تسهم في تنمية الذائقة الأدبية للباحث في اختيار النصوص المناسبة ؛ فتصنع من الباحث ناقداً ، ولعل من أبرز مسوغات الموازنة بين الشاعرين ابي بكر الصنوبري وابن وكيع التنيسي اشتهارهما بوصف الطبيعة وتميزهما به ؛ اذ اقترن اسم الصنوبري بروضياته ، ولُقب ابن وكيع بشاعر الزهر والخمر[1] ؛ مما جعل من أشعارهما – في هذا الغرض – مادة غنية ، و خصبة تستحق الدراسة والاهتمام ، يضاف إلى ذلك انتماء الشاعرين إلى القبيلة نفسها ، وهي قبيلة ضبَّة العربية ؛ ذات التأريخ العريق ؛ التي أنجبت كثيراً من الشعراء والأدباء ، وقد عاش الشاعران في حقبة زمنية متقاربة في القرن الرابع للهجرة ، فضلاً عن تشابه الظروف البيئية عند الشاعرين ؛ اذ تميزت مدينتا الشاعرين بطبيعة ساحرة جميلة أثرت إيجابا في نفس الشاعرين الشغوفة بجمال الطبيعة ، فوصفاها وتغزلا بجمالها .

ولغرض تسهيل دراسة مفردات الطبيعة الصامته عند الشاعرين والموازنه بينهما قسمنا البحث على فقراتٍ هي ؛ وصف الرياض بما فيها من أزهار وأشجار متنوعة ، ووصف المظاهر الجوية كالسحابِ والرعدِ والبرق ، ووصف اللّيل ، ثم وصف الماء ، وأخيراً وصف الفصول الأربعة .

نحسب أن عملنا يمثل إضافة معرفيّة إلى حقل الدراسات الأدبية والنقدية ، وقد بذلنا فيه جهداً كبيراً ، فإن وفقنا فبفضل من الله جل وعلا ، وإن قصرنا فحسبنا أننا اجتهدنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Abstract :

It balance between two minds and shows the points of differences and similarities between them , as well as the researcher's mind ; and this what creates a wide vast area of freedom which drift the research away from monotony of speech as if it was about one poet , In addition it this study contribute develops researcher 's literary faste in selectinig the appropriate fexts that suits the subject , which makes the researcher acritic

Perhaps the most important rationale for the balance between the poets Abu Bakr Rosin and son and Kia Ltinaysa as follows :

1- Their reputation for describing the nature more than purposes , as it was accompanied Rosin Broziath name, title, and a son and Kia poet dice and wine; making Ohaarhma - for this purpose - is rich in fertile material worthy of study and attention .

2-their reput ato for describing Nature more than other purposes – as it was accompanied Al-Sonawbary's name with ferfile , And Ibn – Wakee was named , the Rose and mine Poet .

2- poets belonging to the same tribe, a tribe of Arab equivalents; with a long history, which gave birth to many of the poets and writers.

3- poets lived in an era close - in the fourth century AH .

4- the similarity of the environmental conditions at both poets, as characterized by the cities of poets naturally beautiful witch had a positive effect on the same poets obsessed with the beauty of nature, and Focefaha Tghazla beauty.

التمهيد

أولاً : تعريف بأبي بكر الصنوبري :

هو أبو بكر احمد بن محمد بن الحسن بن مراد الضبي[2] ، وسماه ابن النديم محمد بن احمد[3] ، ووافقه في ذلك ابن كثير[4] ، وينتسب الشاعر إلى ضبة ؛ القبيلة العربية المشهورة ، ويروى أنه سئل عن السبب الذي من أجله نُسب جده إلى (الصنوبر) ، حتى صار معروفاً به فقال « كان جدي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فأستحسن كلامه ، وحدة مزاجه وقال له إنك لصنوبري الشكل ، يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج »[5] ، ولد الصنوبري في أنطاكية[6] ، وعاش في حلب ، والتحق بشعراء سيف الدولة الحمداني ، وانشده مدائح كثيرة ، وعاش في بلاطه ، وقربه ، واتخذه نديماً له ، وجعله أميناً لمكتبة قصره[7] .

ونشأ الشاعر نشأة علمية ؛ اذ حفظ شيئاً من القرآن الكريم ، وجانباً من الشعر ، وكان محباً للعلم ، ومواكباً للحركة العلمية[8] ، ونقل أخباراً كثيرة عن علي بن سليمان الأخفش (الأخفش الصغير) (ت 306 ه) ، وأحبه ومدحه ، ومن هنا ندرك سبب عناية الشاعر باللغة ، وتصديه لشرح بائية ذي الرمة شرحاً لغوياً في أكثره ، واستعماله كثيراً من الكلمات الغريبة في عدد غير قليل من قصائده[9] ، وعندما يركب (القوافي الصعبة)[10] يحاول أن يؤكد هذه المقدرة اللغوية[11] .

وللشاعر ديوان كبير اشتمل على أغراض شعرية متعددة حتى عده ادم متز « اول شاعر للطبيعة في الادب العربي »[12] ؛ اذ عاش معيشة جعلته أستاذ هذا الغرض ورائده اذ « كانت له بمدينة حلب حديقة بها قصرٌ فخم حوله الغروس والرياحين وشجر النارنج »[13] ، حتى اقترن اسمه بروضياته ، كما قرنوا ابا نواس بخمرياته ، وابا العتاهية بزهرياته ، وابا فراس بروميانه ، فقال ابن رشيق «لابد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد اليها طبعه كأبي نواس في الخمر ، والصنوبري في ذكر النور والطير »[14] ، مثلما قال الخوارزمي «من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وروضيات الصنوبري ، ولم يخرج إلى الشعر فلا اشب الله قرنه »[15] ، وقال عنه الدكتور سيد نوفل : « والصنوبري شاعر من شعراء العربية الممتازين في وصف الطبيعة تتوفر له عوامل التفوق الفني من الحب الصادق والمرح وارهاف الحس والتأمل في الطبيعة وتصويرها بحجة النشاط والحركة في صورٍ إنسانية وهو نتاج طبيعي لعصره وبيئته ونشأته »[16] ، وكان نواة المدرسة الحلبية التي انعكس أثرها في المشرق والمغرب ، فنسج الأدباء في بغداد على غرارها بجهودٍ من الوزير المهلبي[17] .

وكان الصنوبري يعامل الطبيعة معاملة بشرية ، بإضفاء الحركة ، والشعور عليها ، فيجعلها كالدمى البشرية المتجاورة ، وكان متأثراً بحياة الترف التي يعيشها ، والتي انعكست على صوره وتعبيراته وألفاظه على نحو ما سيأتي في قابل البحث .

توفي الصنوبري سنة (334 هـ) وقدر بروكلمان عمره بخمسين عاما[18] ، ولكن يبدو ان العمر امتد به إلى أكثر من ذلك ، إذ تحدث عن بلوغ الستين في قوله :

وســــــبيلي وقـــــد نهضـــــت ستيـــــــــ ـــــــن نهـــوض المشـــمر النهـــاض[19]

فمات مخلفاً وراءه رياضاً شعريةً زاهية ، وربيعاً فنياً يسحر العيون والالباب .

ثانياً : تعريف بابن وكيع التنيسي :

هو « أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدفة بن زياد الضبيّ »[20] ؛ وينتسب الشاعر إلى قبيلة ضَبة – وهي القبيلة نفسها التي ينتمي اليها الصنوبري - ، أما مولده ونشأته ووفاته فكانت في تنيس[21] ، وعرف الشاعر بابن وكيع نسبة إلى جده وكيع (ت 306 ه) ، ومعناه الشديد والمتين[22] ، وكان وكيع « فاضلاً نبيلاً فصيحاً من أهل القرآن ، والفقه والنحو ، والسير ، وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة منها ، كتاب الطريق ، وكتاب الشريف ، وكتاب عدد أي القرآن والاختلاف فيه ، وكتاب الرمى والنصال ، وكتاب المكاييل والموازين ، وله شعر كشعر العلماء ... وقد تولى قضاء الأهواز نائباً عن عبدان الجواليقي »[23] .

وذكر ابن النديم وكيعاً ، وقال عنه إنه كان كاتباً لابي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب القاضي ، وأضاف له كتباً أخرى[24] ، ويبدو ان حفيده لم يسِر على خُطى جده ؛ إذ أحب الخمرة والمجون ، وقد ابدع في فن الشعر فهو « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع في إبانه ، على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في اوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستبعد الافهام »[25] ، وقيل ان في لسانه عجمة ويقال له (العاطس) ، وله ديوان شعر جيد[26] .

تميز ابن وكيع بحبه للطبيعة ، وشغفه بها حتى جاء جلُّ ديوانه فيوصفها ، ووصف الخمرة وألوانها ومجالسها .

وكانت فيه ظرافة ، وخفة روح ، وكان يكثر من المزاح في شعره حتى قيل « وقد أكثر أهل الأدب في المزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك »[27] ، وله كتاب المنصف[28] ، وهو كتاب نقدي أبان فيه عن سرقات المتنبي، وقد اثار هذا الكتاب دوياً عالياً في سماء النقد في حينه ، ومن يقرأه يجد فيه تحاملاً على شعر المتنبي ، وابن وكيع لم يكن منصفاً في احكامه فيه ، وقد ذمه ابن رشيق فقال « اما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب لا يصح لأحد معها الا الصدر الأول ان سلم ذلك لهم ، وسماه كتاب المنصف مثلما سمي اللديغ سليماً ، وما ابعد الإنصاف منه »[29] ، وقد ألف ابن جني (ت 392 هـ) كتاباً في الرد على ابن وكيع في هذا الكتاب سماه (النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته)[30] .

ويعد هذا الكتاب من الكتب النقدية المهمة التي تناولت موضوع السرقات الشعرية التي طالما شغلت الشعراء والنقاد ، ومن الآراء النقدية التي دارت حول هذا الكتاب نلحظ تأثيره على معاصري الشاعر ، وهو يدل على أهمية هذا الكتاب من جهة ، وأهمية مؤلفه من جهة أخرى ، مثلما يدل على مواكبة الشاعر للحركة الأدبية التي تعاصره ، فالمتنبي قد ملأ الدنيا وشغل الناس على حد تعبير ابن رشيق(31) .

وفي جمادى الاولى من عام (393 هـ) توفي الشاعر إثر إصابته بالفالج ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بُنيت له بها(32) .

المحاور الموضوعية لمفردات الطبيعة الصامتة عند الشاعرين أبي بكر الصنوبري وأبن وكيع :

الميل إلى الطبيعة ميل فطري في النفس الإنسانية ؛ فالحزين يفزع إليها ليبث إليها شجونه ، وآلامه ، والسعيد يهرع اليها ليخبرها عن غبطته ومسرته ، والشاعر وجد في الطبيعة مسرحاً خصباً لاستيعاب أفكاره ، ومرتعاً لخياله واحلامه ؛ اذ يستوحي من رياضها وأنهارها ونجومها لوحاتٍ ناطقة تبقى خالدة على مر الدهور ، ويبدو أن منظر الرياض بجداولها المنسابة ، وألوانها الزاهية ، وعصافيرها المغردة ؛ أكثر ما يستهوي الشعراء ويجذبهم ، فنظموا فيها القصائد الطوال ، والمقطوعات القصار .

وكان للبيئة التي عاش فيها الشاعران – موضع الدراسة – تأثير كبير في أشعارهما ، فالديار التي عرفها الصنوبري في بلاد الشام ذات الطبيعة الساحرة ، في حلب والرقة – حيث منشأ الشاعر ومرتع صباه – بقاعٌ خصها الله بنعمة الجمال فانمازت بطبيعة سخية ، وبساتين غنية ، فضلاً عن طيب هوائها ، ووفرة مياهها حتى قال عنها ياقوت الحموي (ت626 ه) « مدينة عظيمة ، واسعة ، كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، صحيحة الاديم والماء »(33) .

أما البيئة المصرية – بيئة ابن وكيع – فلم تكن اقل جمالاً وفتنة من بيئة الصنوبري ؛ فقد أضفى عليها نيلها جمالاً ساحراً ، وبخاصة في مدينة تنيس ، موضع نشأة الشاعر – التي كانت جزيرة تحيط بها المياه من جهاتها جميعاً ، اذ وصفها المسعودي (ت346 ه) بقوله : « تنيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها استواء ، وطيب تربة ، وكانت جناناً ، ونخيلاً ، وكروماً ، وشجراً ، ومزارع ، وكانت فيها مجار على ارتفاع من الأرض ، ولم ير الناس بلداً أحسن من هذه الأرض ، ولا حسن اتصالا من جنانها ، وكرومها »(34) .

المحور الاول : الرياض

وهذه البقاع الجميلة خلقت في نفس الشاعرين المولعة بالجمال انعكاساً رائعاً جعلتهما مغرمين بالرياض ، يهيمان بحبها ، فوصفاها بأرق الأوصاف ، ممتزجة بمشاعرهما الرقيقة ، معززةً بخيالٍ خصب.

عبر الصنوبري عن هذا الحب الذي شغله عن ايّ حب آخر ، فلم يكتفِ بذلك بل جعل الرياض تبادله الغرام ، وتدعوه إلى التقرب منها بصمتٍ ناطق ، فصورها مثل امرأة متمنعة تحاول ان تغريه فقال: [الكامل]

أمـــا الريـــاضُ فـعِـشـقها عِشقُ ... لـم يـبـقَ فيَّ لغيرها طَرْقُ
زهْر الرياض إذا هي ابتسمتْ ... تدعو فيسرعُ نحوها الحلْقُ
فتظلُّ تنطقَ وهي ساكتةٌ ... إن الرياضَ سكوتها نُطْق (35)

وأغرم ابن وكيع بالرياض وبجمالها ، وبهره تنوع أشكالها ، فأخذ بوصفها والتغزل بها ؛ و كما أضاف إلى وصفه إجلالا ، وهيبةً ، حينما أشار إلى حكمة الباري عز وجل في تنوع تبرها فقال : [المتقارب]

فكـــم جـــوهر نظمتـــه الريـــاضُ ... فمـــا واصـــل الغيـــث مـــن نثـــره
ووشـــــي إذا الطـــيُّ زان الثيـــا ... ب زاد جمـــــالاً علـــــى نشـــــرهِ
وكـــــل نبـــاتٍ لتلـــك الريـــا ... يألفـــه الـــروضُ مـــن زَهَـــرهِ
تخيَّـــــرَ خالقهـــــا تبرهـــــا ... فـــلا تبْـــرَ اجـــودَ مـــن تِبـــرهِ
وقـــم عاطِنيهـــا علـــى الـــرغم مـــن ... أطـــال التعتـــب فـــي زجـــرهِ(36)

كان منظر الرياض الجميل يحث ابن وكيع على ممارسة لذة أخرى ، وهي شرب الخمر ، التي أسرت الشاعر ، وشغفته حباً في شعره– كقوله – [الرجز]

قم فاسقني صافيةً ... تسلبُ قلبي فِكرهْ
في روضةٍ كـأنها ... خريدةٌ في حبرَةْ(37)

و ارتبط اللهو مع الرياض عند الصنوبري ، فهو لن يرضى عن اللهو إلا بين رياضٍ قد أغنتها السحاب فقال : [الخفيف]

لن تراني ارضى عن اللهو الا بين روضٍ عن السحائب راضِ [38]

فالرياض ارتبطت عند الشاعرين بالخمرة ، لكن السؤال هنا من هي المعشوقة عند الشاعرين ؟ هل هي الرياض أم الخمرة ؟

لو تأملنا نص الصنوبري الأول لوجدناه نصاً مفعماً بالإحساس، الذي ينبع من نفسٍ عاشقة فعلاً حتى انه عمد إلى استعمال مفردات طالما استعملها شعراء الغزل كقوله (عشق ، وطرق ، وابتسمت) فكانت الرياض هي معشوقته ، وما كان اللهو إلا شيئاً ثانوياً قياساً بها .

وعلى العكس من ذلك نظرة ابن وكيع ؛ فوصفه للرياض جاء ظاهرياً،شكلياً ، وبعيداً عن مداعبة أحاسيسه ، ومشاعره ، فمعشوقه الذي كان متيماً به هو الخمر ، وما كانت الرياض بأشكالها المتنوعة ، وألوانها الزاهية إلا مكملات لمجلس انسه ، وسروره في معاقرته لحبيبته الخمرة ؛ فكل أوصافه للرياض في ديوانه كانت تنتهي بوصف الخمرة ، ولذتها ، واستمتاعه بشربها .

ومن المواقف التي اصطنعها الصنوبري ، التي تعبر عن مكنونات نفسه تجاه الرياض بخيال فنان ، وابداع مبتكر ، شبيهه للرياض بالحبائب لان النظرة حينما تنفذ إلى الروض من خلال المرأة تكون أشد إمتاعاً للنفس ، وأروع تادية للوصف[39] ، لأن المرأة مثلما قال الجاحظ (255هـ) « أجمل شيء في الوجود ، ولاشيء يبلغ في الجمال مبلغها ، فهي أحسن من كل شيء تشبه به »[40] .

فتنبه الشاعر إلى هذا المعنى من الرياض ، فأخذ منها الرقة ، والنعمة ، ورشاقة التمايل ، وحمرة الخدود ، وسحر العيون ، وهو بذلك لم ينظر إليها على أنها كائنات جامدة ، لا حياة فيها ، بل جعلها فتيات جميلات ، مفعمات بالحياة ، والنشاط ، والنشوة ، وفي أوصافه هذه دعوة للعشاق إلى ان يشاركوه عشقه هذا ، وبخاصة وأنه صاحب صورته بأفعال المحبين فيما بينهم من غمز ، ولحظ عيون خوفاً من الرقباء ؛ ليزيد من المشاركة الوجدانية بينه وبينهم في قوله :

[المنسرح]

تشبيه الروض بالحبائب قد ... زاد المحبين في محبتها
كم من قدورٍ هناك من قُضُبٍ ... تميلُ من لينها ونعمتها
كم وجنةٍ خالها يلوحُ لنا ... سوادُهُ في صفاءِ حمرتها
وكم ثنايا تسبي بنكهتها ... وكم عيونٍ تُصبي بلحظتها
تسارُقُ الغمز غمز خائفةٍ ... رقيبها من خفاء نظرتها[41]

وتعامل ابن وكيع مع الرياض مثلما تعامل معها الصنوبري ، فاشار إليها ببعض صفاتٍ المرأة الجميلة فشبهها بالعرائس التي تختال تمايلاً وتبختراً في قوله : [الكامل]

هذي الرياضُ كأنهن عرائسٌ ... يختلن بين تمايل وتبختُرِ
في جوهر فاق الجواهر قيمةً ... لو انه يبقى بقاء الجوهر [42]

عبر الشاعر عن معانٍ جميلة ، بألفاظٍ سهلة وواضحة ، وهذا ما تنبه اليه نقادنا قديماً ، إذ أرادوا من اللفظ أن يكون سهلاً واضحاً ، وبعيداً عن المذاهب الفلسفية [43] ، واستعمل الشاعر لفظه (العرائس) واختار معها التأنق في المشي ، لأن العروس تكون محط أنظار الجميع ، وطريقة مشيتها أكثر ما يُرصد منها ، لذا فعليها التأنق ، والتبختر في تلك المشية، لتتمايز بجمالها ، وقد اختار الصنوبري لفظه (الحبائب) ، وفصل في وصفها ، فمن المتمايل إلى لون الوجنة ، فلون العيون ، لان كل حبيبة فيها صفه تميزها عن غيرها ، وبما انه أراد ان يشاركه المحبون في دعوته ، نوع في أوصافه ، فآراد القول لهم ، إنَّ ما يعجبكم في حبيباتكم ستجدونه في لمحة ، او عبقٍ من تلك الرياض ، و عزز صورته بالإشارة إلى بعض أفعال المحبين ؛ مثل الغمز ، وتسارق النظر لتكون اكثر حيوية وعمقاً .

ويغالي في افتنانه بالروض ، فيحيطه بهالةٍ من القداسة ، والتبجيل ، ويجعله حرماً موقوفاً على الكرام فقط ، لا تدنسه أقدام اللئام ، وإن كان قيماً عليه في قوله : [الكامل]

كنت املك للرياض صيانةً ... يوماً لما وطيء اللئامُ تُرابها[44]

ونزه ابن وكيع الرياض عن اللبس ، لان كل ملبوس بنظره مبتذل ، فجعله حرماً موقوفاً على الناظرين فقط ، في قوله :

[الرجز]

بدا لنا فصل الربيع منظراً ... بمثله تُفْتنُ ألباب البشرْ
وشيئاً ، ولكن حاكهُ صانعُهُ ... لا لابتذال اللبس لكن للنظرْ[45]

وكان من فرط تعلقهما بالرياض ، وتأثير الحضارة في شعرهما ؛ أن اعترضا على المقدمة الطللية ؛ التي أصبحت لا تناسب المجتمع المتحضر الذي يعيشان به – بحسب رأيهما - واقترحا ان تكون المقدمات خمرية روضية ، وقد استعملا أسلوبا منطقياً مقنعاً في ثورتهما ، فلم يهجما من بداية القصيدة ، بل مهدا لذلك بصورة متسلسلة ، فبعد ان وصفا الرياض ، وإزهارها ، وطيورها ، وما فيها من أنواع المفاتن ، والمغريات ، انتقلا إلى وصف الخمرة ، ولذتها ، ومتعتها ، لينتقضا على الطلل ، فيجعلا القارئ متفاعلاً معهما ، مؤيداً لموقفهما ، فهذا الصنوبري بعد ان فرغ من وصف الخمرة ولذتها والجو الجميل الذي يشجع على شربها ، هاجم الطلل ؛ فاستبدل الكؤوس بالعبر في رياضٍ يحمل النسيم عبقها الزكي في قوله : [الخفيف]

لم أعرجْ على طولٍ يتيما ... ولم أسر في الدُّجى بالعِيرِ ءَ
إنما عيرنا الكؤوس تراها ... سائراتٍ تُحْدى بناءٍ وزيرِ
في رياضٍ إذا بدا القطر أبدتْ ... عن شموسٍ طوالعٍ وبدورِ
وإذا هبتِ الصبا في رُباها ... خِلتُ ريا الصَّبا نسيم عبيرِ (46)

وقوله : [البسيط]

لا تبكين على الأطلال والدمن ... ولا على منزلٍ أقوى من الزمن
وقم بنا نصطبحْ صهباء صافية ... تنفي الهموم ولا تبقى من الحَزَن
في روضةٍ زهرت، بالنبت مذ حسنت ... كأنها فرشت ، من وجهة الحَسَنِ (47)

تميزت دعوة الصنوبري بالهدوء فهو أراد من الشعراء ترك المقدمات الطللية التي أصبحت لا تتناسب مع حياتهم ، واستبدالها بشيء يتلاءم مع هذه الحياة ، بأسلوب عقلاني مقنع .

بيد أن ابن وكيع كان أكثر من الصنوبري إصرارا ، وعنفاً في هذه الدعوة ، فاتخذ من الدعاء وسيلةً للتعنيف لمن يبدأ بمقدمة طللية ، وهنا يمكننا ان نميز بين شخصية الصنوبري المتزنة ، وعنفوان الشباب عند ابن وكيع ، وهذا لا يعني ان دعوة ابن وكيع كانت خالية من السياسة ، بل على العكس من ذلك ، اذ كان يبدأ القصيدة بوصف الرياض ، والخمرة مثلما فعل الصنوبري ، لكن انغماسه في الملذات وشدة تعلقه باللهو ، والمتعة جعلته يصرخ صرخةً عالية بوجه من يذكر الطلل ، وأمامه هذه المغريات التي يعيشها ابن وكيع بحياته اللاهية والمترفة فقال : [الكامل]

ذا العيشُ ، لا نعتُ المهامه والفلا ... وسؤال رَسْم الدار والأحجار
لا فرَّجَ الرحمن كربة جاهلٍ ... يبكي على الأطلال والآثار (48)

وقوله: [مخلع البسيط]

لا رحم الله من بكى طللاً ... ولا رقى مدمعاً يُحدرهُ (49)

أما الأزهار وعيون الروض – مثلما - يقال فقد هام بها الصنوبري ، ورأى فيها عالماً نابضاً بالحياة ، ومليئاً بالأحاسيس والمشاعر ، وكان يسعى لتأمين وجودها حيث يكون ، فبستانه وداره زاهيان بأنواع الزهور ، حتى سطح منزله نسّق فيه أحواضا جعلته كالجنان[50] ، وقد ذكر في ديوانه أنواعا كثيرة من الزهور؛مثل النرجس[51] ، والورد[52] ، والشقيق[53] ، والنيلوفر[54] ، والسوسن[55]وغيرها .

ولم يختلف ابن وكيع عن الصنوبري في هيامه بالزهور والتغزل بها حتى جاء معظم شعره في وصفها ، فوصف النرجس[56] ، والباقلاء[57] ، والشقيق[58] ، والجلنار[59] ، وغيرها حتى لقبه الدكتور حسين نصار بشاعر الزهور والخمر.

يتحسر الشاعران على قصر عمر هذه الكائنات الجميلة فقال الصنوبري في ذلك : [الوافر]

تحدث عن زمان الورد لا عن ... ملوك الفرس في اولى الدهر
قصير عمرها يفضي الندامى ... بدرتّها إلى عمرٍ قصير
فقم نفسي فداؤك نفترعها ... بحث الكأس والقدح الكبير
فما يوم السرور إذا تولى ... إليك بمقبلٍ حتى النشور (60)

وهي أجمل من كل الجواهر عند ابن وكيع ، ولولا قصر عمرها ؛ لصيرها الملوك خواتماً ، ووضعوها في أيديهم في قوله : [الطويل]

جواهرُ لو قد طال فينا بقاؤها ... رأيت بها كل الملوك مختّما[61]

اذ اثارت في نفسه حادثة معينة ، ربما في حبيبة غادرة ، او صديق غادر ، وقد ظهرت سماحة روحة ، وطيب نفسه ؛ في غفرانه ذلك الغدر ، لكن ذلك الغفران خلق في نفسه مرارة ، وحزناً ؛ لذلك هرب إلى عالم الراح فقال :

[المتقارب]

جـــــواهرُ تصـــــلح للادّخـــــا ... ر لـــو طـــال فيهـــا مـــدى عمرهـــا
فمـــا بـــال نفســـك لاتنثنـــي ... لتلـــك التـــي آلفتـــكَ مـــن ســـرها
إذا الغـــدر كـــان لهـــا شـــيمةً ... فقـــد وجـــب الصـــفح وعـــنْ غـــدرها
فـــلا تتلـــف الـــنفس حبـــا لهـــا ... وصـــن قـــدر نفســـك عـــن قـــدرها
وعنـــــدي دواء لأحزانهـــــا ... يوسِّـــعُ ماضـــاق مـــن صـــدرها
معتقـــــة إن جلـــــت للســـــقاة ... تعـــوّذَ همـــكَ مـــن شـــرها[62]

جاء نص ابن وكيع مؤثراً ، لأنه مزجه بحزنه ، فارتبط الحزن بقصر عمر الأزهار ، بينما ظهر الفرح ، والاستبشار في نص الصنوبري ؛ لأنه أراد الاستمتاع بها قبل أفولها ، وترك كل ما يثير أحزانه لان يوم السرور لن يعود إذا فات.

أما أكثر أنواع الأزهار التي وصفها الشاعران ، فهي زهرة النرجس[63]، ولعل ملاءمة البيئة المشرقية في مصر ، وبلاد الشام لزراعة مثل هذه الأزهار قد أثار الشعراء لوصفها ، فضلاً عما فيها من ألوان جميلة ، ومناظر رائعة تثير في نفس الشاعرين شتى العواطف ، الانفعالات ، وبخاصية وقد شابه منظرها منظر العيون الجميلة .

وأكثر ما أحبه الشاعران في النرجس ، المضعّف منه ، فشبهه الصنوبري بأقمارٍ مشمسة ، محمولة على أغصان خضراء ، فتختلط مثل اختلاط الماء بالراح ، عندما تمزج بالاكؤس فقال : [السريع]

مـــــا ان رأينـــــا نرجســـــاً مُضْـــــعَفاً ... أكثـــر مـــن ذا قـــط فـــي مجلـــس
بـــل مـــا رأينـــا مثلـــه نرجســـاً ... أحســـن فـــي الأعـــين والأنفـــس
بـــيضٌ وصـــفرٌ فـــوق خضـــرٍ مـــن الـــ ... أغصـــان تحكـــي خضـــرة الســـندس
فقمـــــرةٌ مشمســـــةٌ بيِّننـــــا ... يـــا عجبـــاً للمقمـــر المشـــمس
مثـــل اختـــلاط المـــاء بـــالراح فـــي ... أول مـــا تمـــزجُ فـــي الأكـــؤس[64]

وظهر تأثر ابن وكيع واضحاً بالصنوبري عند وصفه هذه الزهرة في قوله: [البسيط]

اشـــرب فلســـتَ علـــى صـــحوٍ بمعـــذور ... واطـــرب علـــى صـــوت نايـــات وطنبـــور
أمـــا تـــرى النـــرجسَ الريـــانَ يلحظنـــا ... كـــأن أجفانـــهُ أجفـــان مخمـــورِ
كـــأن أصـــفره فـــي وســـطِ أبيضـــه ... قراضـــتهُ أودعـــت أحشـــاء بلـــورِ
أمـــا تـــراه ومـــر الـــريح تعطفـــهُ ... كأنـــه زعفـــرانٌ وَســـطَ كـــافورِ
إذا بـــدا فـــي اخـــتلافٍ مـــن تلـــونِ ... أراك كيـــف امتـــزاج النـــار بـــالنور[65]

نلحظ تشابه المعاني بين نص الشاعرين فكلاهما وصف لون النرجس وكيفية اختلاط ألوانه ببعضها ، وشبّهاها كلاً بأسلوبه ، فالأول شبهها باختلاط الماء بالراح ، وشبهها بالآخر باختلاط النار بالنور وكلاهما اظهر مشاعر الفرح والسرور في النظر إلى هذه الزهور ؛ فوصف الصنوبري ما رآه ، بينما مزج ابن وكيع بين إحساسه بنشوة الخمرة وعكسها على شكل تلك الزهور فجعلها كأجفان المخمور الذي لا يكاد يثبت نظره على شيء لذلك استعمل الفعل (يلحظ) الذي يدل على سرعة تحول نظرة العين ثم دعمهما بحركة أخرى عندما وصف هذه الأزهار وهي تمر عليها الرياح فتحركها ويبدو ان الشاعر عكس ما كان شعر به من نشوة الخمر على تلك الزهور ، فجاء نصه أكثر تعبيراً وصدقاً ، لما استعمل من أسلوب خطابي مباشر ، بينما اكتفى الصنوبري بإظهار مشاعر الفرح لما رأى زهراً أعجبه فوصف شكله وجماله .

والشقيق[66] من الأزهار التي فتنت الصنوبري بلونها الأحمر المميز ، وارتبطت هذه الزهور بغرض الغزل عند كلا الشاعرين ؛ لان صبغتها الحمراء شابهت لون الخدود الجميلة ، فقال الصنوبري فيها : [السريع]

شـــقيقة شـــق علـــى الـــورد مـــا ... قـــد منحـــتْ مـــن كثـــرة الصـــبغ
كأنهـــا مـــن حســـنها وجنـــةٌ ... يلـــوح فيهـــا طـــرفُ الصـــدغ[67]

و رأى فيها صوراً مختلفة ، فهي كوجوه العذارى اللاتي يحملهن قضيب ضعيف ، وخدوداً جميلة تتلألأ كالسراج مع بدوها ، وتنطفي مع افولها و وعندما تعتدل في قيامها تكون كالزجاجات التي ملئت خمراً ، ولما تداعبها الرياح وتحركها وتقربها من بعضها تبدو وكأنها تريد أن تتعانق فيما بينها في قوله : [الوافر]

وجـــوه شـــقائقٍ تبـــدو وتختفـــي ... علـــى قُضُـــبٍ تميـــدُ بهـــن ضَـــعفاً
تراهـــا كالعـــذارى مُســـبلاتٍ ... عليهـــا مـــن حميـــم النبـــت سَـــجفا
تنازعـــت الخـــدودَ الحمـــرَ حُســـناً ... فمـــا إن أخطـــأت مـــنهنَّ حرفـــا
إذا طَلَعـــتْ آرتـــكَ الســـرج تُـــذكي ... وان غربـــتْ ارتـــك الســـرجَ تطفـــا
تُخـــالُ إذا هـــي اعتـــدلت قيامـــاً ... زجاجـــاتٍ مُلـــئِن الخمـــرَ صِـــرفا
إذا مـــا جمَّشـــتها الـــريحُ أومَـــتْ ... لتقبيـــل الخـــدود حيـــاً وظرفـــا[68]

في حين ان ابن وكيع عكس الصورة وجعل الشقيقة هي التي اخذت تحاكي جمال محبوبه وتقلده في قوله : [الكامل]

ان الشـــقيقَ رأى محاســـن وجهـــهِ ... فـــأراد ان يحكيـــه فـــي أحوالـــه
فأفـــاد حمـــرةَ لونـــه مـــن خـــدِّه ... وأفـــاد لـــون ســـوادهِ مـــن خالـــه[69]

ومن الأزهار التي وصفها الشاعران ؛ زهرة الباقلاء ، فعقد لها الصنوبري أوصافا جميلة ومتنوعة ، فشبهها ببلق الحمام عندما تقيم أذنابها في قوله :

[الكامل]

ونبـــات بـــاقلاء يشـــبه نـــوره ... بُلـــق الحمـــام مشـــيلة اذنابهـــا[70]

وقوله : [الخفيف]

ازهـــر البـــاقلاء زهـــراً طريفـــاً ... جَـــلَّ فـــي حُســـنهِ عـــن الاشـــكال
فحكـــى وردُهُ لنـــا إذْ تبـــدى ... سُـــررَ الـــروح ضـــمختْ بـــالغوالي[71]

وشبهها ابن وكيع بدراهم مضمخة بالعنبر في قوله: [الكامل]

كـــأن زهـــر البـــاقلاء دراهـــم ... قـــد ضـــمّخت اوســـاطها بـــالعنبر[72]

كما شبهها بالعيون الحوراء ، وعُد من أحسن ما قيل في وصفها[73] ، في قوله : الرجز]

كـــأن وَّردَ البـــاقلاء إذ بـــدا ... لناظريـــه أعـــينٌ فيهـــا حَـــورْ[74]

ولم يقف الشاعران على وصف كل وردة على انفراد ، بل عمدا إلى تناول مجموعة من الأزهار المتباينة في اللون ، ومتفاوتة الشكل ، ونظماها على شكل طاقاتٍ متناسقة ، كما نسقت باقات الأزهار المختلفة ، فهذا الصنوبري قد عرض لنا صوراً جميلة لمجموعة من الأزهار بعد أن أضاف عليها دفقة حياة تثير المشاركة الوجدانية بينه وبينها ، فشبه العيون بالاقاحي ، والنرجس ، والخدود بالشقيق الذي شبه شكل طياته بشعر مسرحٍ فيه طرر قد قُصت دون مقراض .

أما البهار الاصفر فقد شابه لونه لون العاشق الذي عانى من الصدود والإعراض في قوله :

[الخفيف]

كـــم ثنايـــا وكـــم عيـــونٍ مـــراضٍ ... مـــن أقـــاح ونـــرجسٍ فـــي الريـــاضْ
كـــم خـــدودٍ مصـــونةٍ مـــن شـــقيقِ ... لـــم يبـــدلْ للَّـــثْمِ او للعضـــاضْ
اعتـــرض بـــاطن الشـــقيق ففيـــه ... طُـــرفٌ مـــا يملهـــا ذو اعتـــراضْ
جُمـــمْ سُـــرحّت بـــلا مُشـــطٍ او ... طـــررٌ قُصـــتْ بـــلا مقـــراض
حمـــرة فـــوق خضـــرة وســـواءٌ ... بـــين هـــذين معلـــمٌ ببيـــاضْ
ذا اخزامـــي ذ احـــرمٌ ذال خيـــر ... يُّ قضـــى لـــي بخيـــرهِ خيـــرُ قـــاضْ
ذا بهـــارٌ فـــي صـــفره العاشـــق الميـــ ... ـــت بـــداءِ الصـــدودِ والإعـــراضْ[75]

وجمع ابن وكيع باقة اخرى فشبه الورد بوجنة الكاعب الحسناء ، والاترنج بأكؤسٍ من عسجد ، والمنثور بالخواتم ، ولون البهار ، والخرم المبثوث فيه يبهج الناظر بلونه الأصفر الزاهر ، في قوله : [الكامل]

وردٌ كوجنـــة كاعـــب قـــد موزحـــت ... فتراجعـــت خجـــلاً لفـــرط تخفّـــرِ
وكأنمـــا النـــارنج فـــي أغصـــانه ... أكـــرٌ خُـــرِطن مـــن العقيـــق الاحمـــر
وكأنمـــا الاتـــرنج اكـــؤسُ عســـجدٍ ... ولهـــا مقـــابضُ مـــن حريـــرٍ اخضـــر
والنـــرجسُ الريـــان بـــين رياضـــه ... يرنـــو بعـــين الباهـــت المتحيّـــر
والجلنـــار يريـــك مـــن اثوابـــه ... نـــوعين بـــين مُزعفـــرٍ ومُعَصْـــفر
وكأنمـــا المنثـــورُ زُهـــرُ خـــواتمٍ ... متخالفـــاتٍ بُـــدِّدَت فـــي منشـــر
والخُـــرَّمُ المبثـــوثُ بـــين بهـــارهِ ... بَهـــجٌ لعـــين النـــاظرِ المتبصِّـــر[76]

وقدم لنا الشاعران زهرية على شكل لوحة فنية رائعة الجمال والإبداع تدل على براعتهما ، ورقة مشاعرهما ، ودقة ملاحظتهما في فن الوصف ،وذلك بعقدهما مناظرة شعرية بين أنواع من الزهور ، فتكلما بلسانها ، ونصّبا نفسيهما حكما بينها ، بأسلوب فني ناجمّ عن وعي دقيق بالعمل الأدبي ، فبدأ الصنوبري مناظرته بنداء نديمة وهو جالس في احد مجالس الشرب بأسلوب خطابي مباشر في قوله : [الخفيف]

يـــا نـــديمي : رأيـــتَ أحســـن مـــن ذا الـــزْ ... زَهـــر بعـــضٌ يهـــوى وبعـــضٌ يغـــارُ[77]

ثم يأخذ الشاعر بسرد القصة فيجعلنا أمام مشهد مصور ؛ إبطاله ؛ النرجس ، والبهار ، والاقحوان ، والبنفسج ، والياسمين ، والخيري .

وأجمل ما فعله الشاعر لشد المتلقي عرضه لأفكار الأزهار وهواجسها وما تشعر به تجاه بعضها البعض ، وكأننا أمام حسناوات يتبارين في معركة الحسن والجمال ، فبدأ بعرض حسن النرجس ، وجعل الورد يخجل من حسنه ، ويغار البهار منه ، فيلذ المنظر للأقحوان ويأخذه السرور فيضحك ، ثم يؤدي الوشاة دورهم في ذيوع النميمة فيسمع السوسن بالخبر ، ويتألم عشاق الورد ، لجرأة النرجس عليه ، فيقوم الخيري بتحضير جيش من الخُرّم يُنذر بمعركة خطيرة ، ثم يُعقد الصلح بينها ، وتجتمع كل الأزهار في مجلس لشرب الخمر ، كل هذا نجده في قوله :

[الخفيف]

يخجـــل الـــورد حـــين عارضـــه النـــر ... جـــسُ مـــن حســـنه وغـــار البهـــارُ
فعلـــتْ ذاك حمـــرةٌ ، وعلـــت ذا ... حيـــرةٌ واعتـــرى البهـــار اصـــفرار
وغـــدا الاقحـــوانُ يضـــحكُ عجبـــاً ... عـــن ثنايـــا لثـــاتُهن نضـــارُ
نـــم عنـــه النمـــامُ فاســـتمع الســـو ... ســـن لمّـــا أذيعـــت الاســـرارُ
عنـــدما ابـــرز الشـــقيق خـــدوداً ... صـــار فيهـــا مـــن لطمـــهِ آثـــار
فاستجاشـــوا علـــى محاربـــة النـــر ... جـــس بـــالخرَّم الـــذي لا يبـــار
ثـــم لمـــا رأيـــت ذا النـــرجس الغَـــ ... ـــضُ ضـــعيفاً مـــا إن لديـــه انتصـــار
فجمعناهمـــا لـــدى مجلـــسٍ تصـــ ... ـــخبُ فيـــه الأطيـــار والأوتـــار[78]

ولم يفت ابن وكيع أن يعقد مثل هذه المناظرة بين أزهاره ؛ فنرجسه قد أخذه التكبّر ، والزهو على باقي الزهور ؛ حتى أغاض ذلك الورد ، فجاء الجلنار وعارضه ، ولم يقاوم ورد الباقلاء ألوان الزهور ؛ لان لونه باهت فظل متحيراً أمامه ، كل هذا في قوله : [المنسرح]

ونـــرجسٍ ظـــلّ يســـتطيل علـــى الـــ ... ـــورد ويزهـــى بـــه تكبـــره
تـــاه بـــان النجـــوم منظرهـــا ... عنـــد امتحـــان القيـــاس منظـــره
وهـــي جمـــال الســـماء وجوهرهـــا ... وهـــو جمـــال الثـــرى وجـــوهره
فأخجـــل الـــورد حســـن بهجتـــه ... وظـــل صـــرف القيـــاس يقهـــره
وانظـــر إلـــى مشـــرق الشـــقيق بـــدا ... فـــي مثـــل صـــبغ العقيـــق احمـــره
قـــد نـــازع الـــورد حســـن خلعتـــه ... فقـــال أســـرفت لســـت تقـــدره
فعـــارض الجلّنـــار فانبعثـــت ... فـــي خـــده علـــة تصـــفره
وخـــامر البـــاقلاء رهبتـــه ... فـــورده باهـــتٌ منـــوره[79]

تنقل ابن وكيع بين الأزهار من دون تمييز لرائدها، فمن النرجس إلى الورد ، فالشقيق ، فالجلنار ، ثم الباقلاء ، وظهر الشاعر في نصه على عكس الصنوبري الذي اختفى تماماً وراء النص وترك الأحداث تتصاعد تلقائياً بأسلوب سردي مشوق ، وقسم معركته بين قائدين ؛ الأول النرجس ، والآخر الورد ومعه باقي الزهور ، فريادة الزهور في نظره تنقسم بين هاتين الزهرتين تبعاً لذلك ، فأجرى بينهما مناظرة أخرى ، وانتصر فيها الورد على النرجس فقال :

[الخفيف]

زعم الورد انه هو أبهى ... من جميع الأنوار والريحان
فأجابته أعين النرجس الغضْ ... بذل من قولها وهوان
أيما أحسن التوردُ ام مقـ ... ـله ريم مريضةُ الأجفان
أم فماذا يرجو بحمرته الخـ ... ـدُّ إذا لم يكن له عينان
فزها الوردُ ثم قال مجيباً ... بقياسٍ مستحسن وبيان
إن ورد الخدود أحسن من ... ن عينٍ بها صُفْرةٌ من اليرقان[80]

ربط الشاعر بين جمال العين ، وجمال الخد على أساس التشبيهات المتوارثة التي ربطت بين النرجس والعين من جهة ، والورد والخد المورد من جهة أخرى، وانتصر الشاعر للورد لأنه فضل جمال الخد على العيون المريضة .

و عقد ابن وكيع مناظرة بين هاتين الزهرتين ، كان رأيه مخالفاً لرأي الصنوبري ، ففضل النرجس على الورد ؛ لان العين مسؤولة عن حاسة البصر التي لا يمكن أن ترى الخد الجميل الأبهى ، في قوله: [الرجز]

أما ترى الورد كخدَّ كاعبٍ ... راودها فامتنعت عنه ذكرْ
كأنما الخمر عليه نفَّضت ... أصباغها ، أو هِيَّ منه تُعْتَصَرْ
أخجله النرجس إذ جادَلَهُ ... فأحمرَّ من فرط حياءٍ وَخَفَره
قال له : العينُ وما الخد لها ... موازياً في عظمِ قدر وَخَطَرْ
ماذا الذي يرجى كخد بهجٍ ... مُستحسنٍ،صاحبُها أعمى البصر؟![81]

ومن هنا نستدل على ان الزهرة الأثيرة عند ابن وكيع النرجس، على عكس الصنوبري الذي ظل متحيراً في اختيار زهرته المفضلة فتارة الورد – مثلما أسلفنا في النص السابق ، وأخرى الشقيق[82]،وفي موضع آخر فضل الخيري فقال: [الطويل]

غدوتُ على زهر الرياض مُسلماً ... وقد سفرت عن أوجه فيه مُسفْره
فلم أرَ كالخيري فيما رأيتهُ ... إذا ما تغشت صفرةُ الشمس أصفره[83]

ويعود ذلك - بحسب رأينا - إلى أن النص وليد لحظته ، وهو منوط بالحالة النفسية التي كان عليها الشاعر في أثناء قوله ذلك النص ، والمشاعر التي هيجتها تلك الزهرة في نفسه في تلك اللحظة .

أما زهرته الأثيرة فهي النرجس ، فلو أخضعنا تحليلنا لمقياس الكثرة لرجحت كفته على باقي الأزهار والورود ، وقد أفرد له قصيدة كاملة ، وأبدع في إضفاء أنواعا من العواطف الإنسانية عليه ، وغالى في حبه حتى ضعف قلبه ، وشبهه بآيات المصحف الشريف ، ولم يغالِ في وصف أي زهرة مثل هذه المغالاة في قوله: [السريع]

اضعف قلبي النرجس المضعف ... ولا عجيب إن صبا مُدنفُ
كأنما بين رياحيننا ... اعشارُ اي ضمنها مُصَحَّفُ[84]

والأشجار من مظاهر الرياض التي ألفها العرب منذ القدم ، وكان لها حظٌ وافرٌ في الأدب العربي إذا ما قورنت بباقي النباتات ، والأزهار[85] ، ويمكن ان نعزو ذلك إلى أهميتها المؤثرة في حياتهم اليومية « فهي تدخل فيما يأكلون ، وما يبنون منه بيوتهم ، وحظائرهم ، وخيامهم ، وما يضعون من سهامهم ، ورماحهم ، وقصاعهم ، وموائدهم ، وحبالهم ، ومعظم ما كانوا يستعملونه في حياتهم »[86] فضلا عما تعكسه من منظر جميل فتنت به أعين الشعراء ، وألبابهم .

وأروع ما قاله الصنوبري في وصف الأشجار ؛ قصيدته التي عزى بها شجرة دلب في بستان غربي قويق عن أختها التي حطمتها الرياح ، وفيها عزى ارق المشاعر ، وأصدقها ؛ اذ عاملهما كفتاتين قد فرقهما الموت كما فرقه مع ابنته في قوله:

[الطويل]

يا دلبة الغربي أفردك الدهر ... سقى الدلب دُلب الغرب من اجلك القَطْر
فتاتين عذراوين أختين كنتما ... قضى الأمر في إحداكما من له الأمر
كلانا محت اثارَ واحدة النوى ... فليس له عينٌ تُحسُّ ولا اثْرُ
سوى إنني بالوجد والصبر عالمٌ ... وأنت فلا وجدٌ عليكِ ولا صبْرُ
وتشهد لي عينٌ غزارٌ دموعها ... ومالكَ لا دمعٌ غزيرٌ ولا نزْرُ
وعودي وقد مص اشتياقيَ ماءَهُ ... وعودكِ تُجري الماءَ أوراقه الخضْرُ[87]

برز بوضوح صدق الشاعر في التعبير عن مشاعره ؛ اذ جسد لحظة شعورية هيجها موقف واقعي جعله يستذكر ، ويحزن ، ويحن ، فمنظر الشجرتين اظهر عاطفة الحزن عند الصنوبري ، بينما استبشر ابن وكيع وفرح عندما رأى النخلة وهي تطرح البلح الذي ينبئ بحلول موسم الرطب فقال : [البسيط]

أمـــا تـــرى النخـــل اطلعـــت بلحـــاً ... جـــاء بشـــيراً بدولـــة الرطـــب
كأنـــــه والعيـــــون تنظـــــرهُ ... إذا بـــــدا زهـــــرهُ علـــــى قُضُـــــب
مَكاحـــلٌ مـــن زبرجـــدٍ خُرِطَـــتْ ... مُقمعـــاتُ الـــرؤوس بالـــذهب[88]

فالنخلة عند ابن وكيع جسدت عاطفة الفرح والاستبشار ، لكنها عند الصنوبري مثلت صفة الغدر ، وعدم الوفاء بالوعد ، وقد عزز فكرة نصه بحادثة تاريخية موروثة في كتب الأمثال وهي نخلة عرقوب[89] في قوله :

[المنسرح]

قـــالوا لنـــا نخلـــةٌ وقـــد طلعـــت ... نخلتنـــــا فاصـــــطبر لطلعتهـــــا
حتـــى إذا صـــار طَلَعُهـــا بَلَحـــاً ... قـــالوا توقـــعْ بلـــوغ بُســـرتها
حتـــى إذا بُســـرها غـــدا رُطبـــاً ... فـــازوا بأعـــذاقها برمتِهـــا
عـــدمتها نخلـــةً كنخلـــةِ عـــر ... قـــوبِ ومـــن قصـــةٍ كقصـــتِها[90]

ولم يترك الصنوبري وصف الثمار ، والفاكهة ، والبقول ، الا انه لم ينظر اليها بمنظار الطعام الذي يسد الرمق ، بل نظر إليها بمنظار فني جمالي[91] وهذا بعينه ما فعله ابن وكيع معها .

وقد ارتبط وصف الثمار عند كلا الشاعرين بغرض الغزل ، فالصنوبري كان يرى التفاح رسولاً بين العشاق وقد كتبوا عليه بأسطر من الذهب ، ومن جمال صبغته وصف به جمال الخدود في قوله : [الخفيف]

فتناولْـــتُ منـــه صـــادقة الريـــ ... ـــــح تُسَـــمَّى صـــديقةَ الارواح
وَشَـــحتْها يـــداه مـــن خـــالص التبـــ ... ـــرِ بســـطرٍ يجـــولُ جَـــولَ الوشـــاح
كُســـيتْ صـــبغةَ الملاحـــة لمـــا ... صُـــبغتْ صـــبغة الخـــدود المـــلاح[92]

وقد تكون إشارة عن رضا الحبيبة في قوله : [الكامل]

أعطـــت يـــداه مُحِبـــة تفاحـــةً ... تعطـــي المحـــبّ أمانـــة مـــن صـــده
فعلمـــتُ حـــين لثمتهـــا مـــن كفـــه ... انـــي ســـألثم أختهـــا مـــن خـــدهِ[93]

وجعل السفرجل كالحبيب الذي يسعد بمجالسته ، ويبتهج برؤيته ، كما ينعم الحبيب بمجالسة محبوبه الذي يحظى منه بالشم ، واللثم ، والعناق في قوله : [الكامل]

لـــك فـــي الســـفرجل منظـــرٌ تحظـــى بـــه ... وتفـــوزُ منـــه بشـــمه ومذاقِـــهِ
هـــو كالحبيـــب ســـعدت منـــه بحســـنه ... متـــأملاً وبلثمـــه وعناقـــه[94]

وتعامل ابن وكيع مع الفواكه كما تعامل معها الصنوبري ، اذ غازل الزيتون كمن يغازل محبوبته ، فشبهه بالعيون الشهل[95] ذوات الدعج[96] فمن ينظر اليه تشفى روحه من كل داء ، فأخضره كالزبرجد ، وأسوده كالسبج[97] في قوله: [مجزوء الرجز]

أنظـــــر إلـــــى زيتوننـــــا ... فيـــــه شـــــفاءُ المُهـــــج
بـــــدا لنـــــا كـــــأعينٍ ... شُـــــهلٍ وذاتِ دَعَـــــج
مُخضـــــرةُ زبرجـــــدٌ ... مُسْـــــودةُ مـــــن ســـــبجِ[98]

ولما نظر إلى طلع النخيل وهو يخرج من بين القشرتين بلونه الأبيض الناصع ، الجميل ، فشبهه بساعد الرومية الأبيض وهي تخرجه من تحت قناعها الممسك في قوله : [المنسرح]

كأنمـــــا الطلـــــع إذ بَـــــدا ... فـــــي جيـــــبِ كـــــافورِهِ المهتـــــكْ
ســـــاعدُ روميـــــةٍ تَبـــــدى ... عنـــــد قنـــــاعٍ لهـــــا مُمسِّـــــكْ[99]

المحور الثاني :المظاهر الجوية

والمظاهر الجوية كالسحاب ، والبرق ، والرعد ، من الظواهر التي استهوت الشعراء منذ القدم ؛ لما تتماز به من منظر جميل يدعو إلى التفكير ، والتأمل فأولاه الشعراء عناية كبيرة ، وفتنوا به ، ووصفوه بأوصاف تتسم بالدقة والتشخيص[100] ، فعرفوا ألوانه ، وأشكاله ، وأسماءه ، حتى إنهم عرفوا حركته ، فإذا كان بطيئاً في سِيره فذلك يدل على غزاره مائه[101] ، حتى إنهم ميزوا صوت رعده « فإذا كان صوته قوياً استدلوا على بعد المطر ، وإذا اشتد استدلوا على قربه »[102] ، وسبب اهتمامهم به انه يمثل عصب حياتهم بما يحمله لهم من ماءٍ يكسو الأرض بالخضرة وينبت فيها الكلأ الذي تتغذى عليه مواشيهم «فعلاقة العربي مع المطر علاقة حاجة »[103] فتوسموا فيه الخير ، وتفاءلوا بمشاهدته ؛ فربطوا بينه وبين صفات جميلة ، فكانوا إذا أرادوا مدح شخصٍ شبهوه بالسحاب ، والمطر ، للدلالة على غزارة كرمه .

وقد نظر الشاعران - موضع الدراسة - إلى السحاب نظرة تفاؤل ، وفرح ايضاً ليس لأنه ينبت الكلأ ، والخضرة التي تتغذى عليها المواشي ؛ بل لأنه يُلبس الأرض ثوباً زاهياً يسر الناظرين لأنهما عاشا في حاضرة ، لا ينتقلون الناس فيها بحثاً عن الكلأ ، وإنما استبشرا بالمطر لانه يجعل كل ما حولهما اخضراً زاهياً ، فلم تكن علاقتهما مع المطر علاقة حاجة كما كانت علاقة الشاعر الجاهلي بها ، بل هي علاقة جمال ، ومتعة ، فلا تطيب لهم مجالس الخمرة الا بين الرياض المتوشحة بألوان الزهر ، والخيري ، فهذا الصنوبري يصف غيمة غزيرة المطر تمرح في الجو ، وتفرد أمطارها على الأقطار ، كما تفرد الصقور أجنحتها على الفريسة ساعة الانقضاض عليها ، لكن الفريسة هنا ، الشقيق والبهار ، وذوائب الأشجار في قوله :

[الرجز]

حتى إذا حنت إلى المزارِ ... سحابةٌ مسحوبة الأزرار
تمرحُ في عنانها الخوار ... كأنما تلقي على الأقطار
أجنحة الاجادلِ الضواري ... حلَّتْ عقودَ دمعها المدرارِ
على الشقيق وعلى البهار ... ونشرتْ ذوائبَ الأشجارِ
وافتر منها الماءُ من آثار ... في صبغةِ الخلخالِ والسوارِ[104]

هذه الأمطار الغزيرة جعلت الجو صافياً من الغبار ، فسكرت الأرض ، وسرت، وسر من يسكنها فقال:

[المنسرح]

غيثت سُقاةُ الغَمامِ أكؤُسَها ... فالأرض سَكرَى وكيف لاتَسَرْ
طَوَتْ رُباها غبارُها فَصفا الـ ... ـجوُّ وقد كان وجهُهُ أغبرْ
عَبثتْ فَسُرتْ وسُرَّ ساكنها ... واستبشرت بالعيونِ واستبشرْ[105]

أشعرنا الصنوبري بفرحته الغامرة وهو يرى الغيمة الممطرة التي بسقوط أمطارها ستهزم الغبار ، وقد ظهرت في تشبيهاته روحاً جاهلية خاصة في النص الأول ، بينما ظهرت روح الحضارة في نص ابن وكيع بألفاظه ، وأفكاره ، زاد عليها بمسحة من خفة روحه ، ورهافة حسه ، وعشقه للطبيعة ، فجعل السماء تبكي من عشقها لجمال الرياض حينما لبست الأرض لباس العرائس في قوله: [الرجز]

عاينه طرف السماءِ فانثنت ... عشقاً له تبكي بأطراف المطرْ
فالأرض في زي عروسٍ فوقها ... من ادمع القطْرِ نثارٌ من دُررْ[106]

وهذا يدل على ان الأرض كانت زاهية ، وخضراء قبل سقوط المطر عليها لان الشاعر عاش في جزيرة وفيرة المياه ، وهذا حال الصنوبري أيضا ؛ ففي بلاده انهار كثيرة دائمة الجريان[107] ، ولم يكن المطر المصدر الأساسي لحياتهم كما كان حال الشاعر في العصر الجاهلي .

وأجاد ابن وكيع في وصفه للسحاب عندما أضفى عليه الجلال ، والهيبة ؛ إذ أشار إلى حكمة الباري عز وجل فقال : [الكامل]

أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً ... شهدِتْ بحكمة مُنزلِ الأمطار[108]

نلحظ أن ابن وكيع كان متحرراً في وصفه للسحاب ؛ اذ أراد وصف الجمال ، وإحساسه تجاهه ، والإشادة بحكمة الخالق عز وجل ، فلم يقلد الأقدمين مثلما فعل الصنوبري ، وقد اتفق الشاعران في اثر المطر على الأرض وما يبعثه من رونق ، ونشوة وانتعاش .

ولم يترك الشاعران وصف الرعد ، والبرق المصاحبين للمطر ، فجعلهما الصنوبري هما الحائكين للربى أبهى الملابس ، وحللها الزاهية من قمصان خيري ، وغلائل سوسن فقال : [الكامل]

نُشرت على تلك الربى حُللٌ ... مما يحوك الرعد والبرقُ
قمصانُ خيريٍّ ملونةٌ ... وغلائلٌ من سُوسَنِ زرق[109]

اما خطيب عرس المطر فهو الرعد ، والبرد نثار العروس في قوله : [مجزوء الكامل]

والرعـــــد يخطـــــبُ مـــــن خــــلا ل الغـــــــيم والبـــــرد النثـــــار[110]

وعندما وصف ابن وكيع الرعد ، والبرق جاء بصورة في غاية الروعة والجمال ، اذ جعل المطر كدموع يلهبها البرق كالتهاب قلب العاشق التي تنبعث من قلب يحترق ، ويتأجج كتأجج البرق الذي يبعث المطر ، وتلك تبعث الدموع منه فينحدر منها المطر في قوله : [الخفيف]

وســـــحاب إذا همـــــى المـــــاء فيـــــه ألهـــب الرعـــدُ فـــي حشـــاه البروقـــا
مثـــــل مــــاء العــــين لـــم تجـــرِ الا ظـــل يُـــذكى علـــى القلـــوب حريقـــاً[111]

المحور الثالث : الليل

والليل من مظاهر الطبيعة الصامتة التي ألفها الإنسان منذ ان خلق ، وقد ارتبط الليل – عند العرب قديماً – بتجربة العاشق بما فيها من وصال وهجر[112] ، وغالباً ما كان يوصف بأنه جالبٌ للأحزان ، ففي عتمته تجد الهموم طريقها إلى النفس ، فتصطبغ بسواد لونه[113] ، ومن عناصر الليل التي تخفف من قتامته ، وظلمته بنورها الجميل ؛ القمر ، والنجوم التي كان لها اثرٌ كبيرٌ في حياة العرب قديماً[114]؛ لأنها مصابيحهم في عتمتهم، وبها يهتدون في اثناء سيرهم ليلاً في البحر او الصحراء ،« فالاهتداء بالنجوم يحتاج إليه صنفان من الناس ، سيارة البحر ، وسائلة الإغفال ، والقفر »[115] ،وقد تميزت النجوم بجمالها الساحر وبخاصة في الليالي المقمرة؛لذلك فقد تغنى بها الشعراء وتخيلوها رسل الشوق والسلام بين الأحبة يناجونها ويبثون اليها شكواهم[116] .

وقد تنوع وصف الشعراء لليل ، ونجومه ؛ ومرد ذلك إلى تنوع المشاعر والمواقف لدى الشعراء ، وعند الشاعر نفسه ، فقد يكون الليل مبعثاً للهدوء والتأمل في الكون ، او قد يكون مسرحاً للهموم ، والآلام ؛ اذ تراود الإنسان به الذكريات ، والتجارب المؤلمة ، او قد يكون عنصر رهبة ، وخوف ، او مرح ومسرة مع مجالس الخمرة ، واللهو ، والمجون ، ولقاء الحبيب[117] .

وفي الاسطر التالية سنتناول كيف كان ليل شاعرينا ، ومن اي نوع هو، فكثيراً ما كان العاشق يشكو من طول الليل ، وقد شكا الصنوبري ذلك في قوله: [المتقارب]

إذا الليـــــل اســــبل ســـــر الظـــــلا مِ باحــــتْ دمــــوعي بمــــا اســـتُرُ
فكـــم لِـــيَ مـــن زفـــرةٍ فـــي الفـــؤا د تُطـــوى ومـــن عبـــرةٍ تُنْشــرُ
ولـــم تجـــرِ مـــن مقلتـــي أدْمُـــعُ عليـــك ولكـــن حَـــرَتْ أبْحُـــرُ
تـــرى لوعــــةً تقتضــــي لوعــــةً ولــــيلاً يطــــولُ ولايقصُــــرُ
ومــــالي إذا لَعِـــبَ الشـــوق بـــي ســــوى أنُ أناديـــك يـــاجعفر[118]

اختار الشاعر ألفاظاً معبرة موحية عن الحزن الذي عانى منه نتيجة فراقه لصديقه .

ولم يختلف ابن وكيع عن الصنوبري في نظرته إلى الليل ، فهو يراه طويلاً لم يذق فيه طعم الكرى حتى شعر بأن الصبح لن يأتي في قوله : [الرمل]

رُبّ ليــــلٍ لـــم اذقْ فيـــه الكـــرى حـــطّ عينـــي فيـــه دمـــعٌ وسَـــهَرْ
طـــالَ حتـــى خلِتُـــهُ لاينقضـــي ونـــأى الصـــبح فمـــا منـــه أثـــرْ
كلمـــا هـــيج شـــوقي حُرَقـــي صـــحتْ : يـــاليلى ،امـــا فيـــك ســـحرْ[119]

وقد يكون ليل شاعرينا مأنوساً جميلاً بحيث لا يشعران بطوله ، فهذا الصنوبري لم يستطل ليله لأنه منشغل بالتفكير بمحبوبته التي شابهت القمر ، ونسيم السحر في قوله: [الرجز]

لـم أسـتطل ليلـي علـى طـول السـهرْ شُـغلاً بـذكرى فارغـاً مـن الـذكرْ
لأنني تَعْـذُبُ لـي فيـه الفكـرْ حتـى اراه حاضـراً ومـا حضـرْ
وان عيني انسـت منـذ هجـر بلمحـةٍ منـه اراهـا فـي القمـرْ
احـورُ لا كُحْـل بـه سـوى الحَـوَرْ نسـيمُ فيـه كالنسـيم فـي السـحرْ[120]

وابن وكيع أيضا بليلهِ وأحب أن لا ينتهي ، ولكن لسببٍ آخر غير سبب الصنوبري ، لأنه كان يعيشه بين اللهو، والطرب تحت ضياء البدر ، والشهب فقال: [الرجز]

وليلـــــــــــةٍ احييتهـــــــــــا مـــــابين عُجْـــــبٍ وعَجَـــــبْ
طـــــار بنـــــا فـــــي جُنْحِهـــــا جنـــــاحُ لهـــــوٍ وطَـــــرَبْ
والبـــــدرُ قـــــد أهـــــدى لنـــــا فـــــي ظلْمـــــةِ الليـــــل شُـــــهُبْ[121]

ويبدو أن نظرة الشاعرين لليل تنبعث من حالٍ نفسيةٍ يهيجها موقفٌ معين ، وهو ما نراه في نظرتهما المتفاوتة إليه ، إيجابا مرة ، وسلباً مرة أخرى ، وهي مسألة طبيعية ترتبط بالنفس البشرية المتقلبة في أحوال شتى تحكمها الظروف المحيطة التي تحيط بالإنسان ، وتؤثر في سلوكه وأحواله .

وكان للشاعرين وقفة مع القمر المنير ليلاً ، وأحواله المتباينة ؛ هلالاً وبدراً ، فجعله الصنوبري كالفضة السائلة على البلد في قوله : [البسيط]

هـــل لـــك فـــي ليلـــة بيضـــاء مقمـــرةٍ كأنهـــا فضـــةٌ ســـالت علـــى البلـــد[122]

ولما نظر إلى نهر دجلة في ليلة مقمرة وشاهد القمر والنجوم قد لمعت على سطح ذلك الماء الهادىء حتى كأنك ترى الأفلاك قد نزلت في باطن الأرض في قوله : [الطويل]

ولمـــا تعـــالى البـــدرُ وامتـــد ضـــوؤه بدجلـــةَ فـــي تشـــرين بـــالطول والعـــرضِ
وقـــد قابـــل المـــاء المفضـــض نـــوره وبعـــض نجـــوم الليـــل يقفـــو ســـنا بعـــض
تـــوهم ذو العـــين البصـــيرة انـــه يـــرى بـــاطن الأفـــلاك فـــي ظـــاهرِ الأرض[123]

ولما نظر ابن وكيع إلى نهر النيل في الليل فرأى صورة البدر مرسومة فيه ، شبه ضوءه بسطرٍ مذهب في قوله : [الكامل]

لاســـيما والنيـــل يلمـــع فوقـــهُ بـــدرٌ لوقـــت مغيبـــه مُتصـــوبُ
وكـــأن صـــفح المـــاء درجٌ ابـــيضٌ فيـــه لضـــوءِ البـــدرِ ســـطرٌ مُـــذهبُ[124]

وظهر تأثير الحضارة واضحاً في صورة ابن وكيع التي وصف بها النجوم المتناثرة في السماء في قوله: [المنسرح]

أمـــا تـــرى أنجـــم الـــدَّياجي تُزْهِـــرُ فـــي جوِّهـــا النقـــي
تحكـــي لنـــا لؤلـــؤاً نثيـــراً علـــى بســـاطٍ بنفســـجي[125]

ولو وازنا بين المعاني التي طرقها الشاعران فيما يخص القمر ونجومه لوجدنا الصنوبري قد اكد على جمال القمر ونجومه وانعكاس تلك الأضواء على الأرض والماء ، بينما ادخل ابن وكيع الواناً اخرى على معانيه غير الضوء واللون الابيض ، ففي وصفه للنجوم نلحظ دقته في وصف لون السماء في ليلة مقمرة ، فلونها الازرق عندما يضرب عليه الليل سواده ، وتأخذ النجوم يكشف القليل من زرقتهما فيختلط اللون الاسود باللون الازرق لينتج لوناً قريباً من البنفسجي ، وكلا الشاعرين ابدعا في وصفهما .

ولشغف ابن وكيع بالقمر وأحواله المتباينة قرن به أوصاف الحبيبة ، مستثمراً منه الجوانب التي تصلح التشبيه بها للتعبير عن مواطن الجمال عندها ، وهذا ما نلمحه عندما وصفها بالبدر المقرط بالمشتري فقال : [السريع]

كأنـــه والقـــرط فـــي أذنـــه بـــدر الـــدجى قُـــرط بالمشـــتري[126]

اما محبوبة الصنوبري فلم يقرنها بالقمر ؛ لأنها ضرة للشمس ، بل فاقتها فالشمس لاتصل لجمالها مثقال ذرة فقال : [المجتث]

ان كنـــت للعـــين قُـــرَّهْ فأنـــت للشـــمس ضَـــرَّهْ
بـــل لـــيس للشـــمس مـــن ذا الـــ ـــجمال مثقـــالُ ذرهْ
هـــاتي : للشـــمسِ ممـــا نعـــدُّهُ لـــك قطـــرهْ[127]

من خلال ما استعرضناه لتشبيهات ، وأوصاف الليل عند الشاعرين نجدهما قد وصفاه وصفاً إخباريا ، ووقفا فيه عند مظهره ، وشكله العام من دون ان يعيشا بخيال العاشق المتأمل لجمال الليل ، ولم يتسم بشمولية الرؤية ورونق العاطفة ، وطلاوة الروح ؛ لأنهما كانا يقضيانه باللهو والمجون ، فالصنوبري يتحول ليله إلى صبح مع الخمر ، والسمر ، حتى تمنى له الدوام اذ جعله كالقميص المفتوح المسترسل في قوله:[مجزوء الكامل]

كـــأس مـــن الابريـــز فـــي ريـــح مرمـــاحوز
باكرتهـــا بـــاميرٍ علـــى القلـــوب عزيـــز
مـــاءٌ ونـــارٌ فقـــل فـــي الـــ ـــميلاد والنـــوروز
حتـــى تركنـــا قمـــيص الـــد جـــى بغيـــر دروز[128]

ولم يختلف ابن وكيع عن الصنوبري في هذا الوصف ، فلم تجد الباحثة في وصف الليل عند الشاعرين حرارة ، وعاطفة بقدر ما في غيره من أغراض الوصف الأخرى ، الا في نصٍ واحد حادث فيه ابن وكيع النجم بمشاعرٍ صادقةٍ تعبر عن وجده ، وهيامه في انتظار رؤية محبوبته ، حتى يشعرنا بأننا أمام شَاعر من شعراء الغزل العذري ذاق عَذاب هجر المحبوب في قوله : [الكامل]

النجمُ يعلم ان عيني في الدجي ... معقودةٌ بطلوعهِ وغروبه
ان كان في تعذيب قلبي راحةٌ ... لَكَ ، فاجتهدِ بالله في تعذيبه
لو كانَ سفكُ دمي إليك مُحبباً ... لرأيتني متضرجاً بصببيه[129]

المحور الرابع : الماء

والماء من مظاهر الطبيعة التي استهوت الشعراء منذ القدم ، إلا أن أشعارهم فيه كانت عابرة ، وكان للفتوحات الإسلامية ، واطلاع الشعراء على بيئات جديدة تم فتحها اثر كبير في ظهور هذا الفن[130] ، ولم يشكل فناً مستقلاً له سماته ، وخصائصه الا في القرن الثالث للهجرة[131] ، فأفرد له الشعراء القصائد الطوال مثلما فعل البحتري حينما وصف بركة المتوكل[132] .

وكان للصنوبري وقفات كثيرة في هذا الموضوع ؛ لأنه عاش في مدينة كثيرة الأنهار والسواقي ، ونهره الاثير قويق ، الذي نظم فيه قصائد كثيرة[133] وتظهر جلياً روح الفكاهة لدى الشاعر في وصفه لهذا النهر ، إذ يعمد في بعض الأحيان إلى مداعبته كأنه طفله الصغير .

لقد وصف الصنوبري طبيعة هذا النهر الهادئة ، وصفاء بلوره ، وبياض لؤلؤه فضلاً عن طيب رائحته لذلك فيه شفاء لمن يشرب منه ، ونتيجة عشقه لهذا النهر جعل الناس جميعاً له عاشقون ، كما دافع عنه لان ماءه ينقص في الصيف ، فأعابوا عليه ذلك ، وأخرجه الشاعر من باب التقشف ، والقناعة في قوله: [الطويل]

قويق له عهدٌ لدينا وميثاقُ ... وهذي العهودُ والمواثيقُ اطواقُ
هو الماء إن يوصف بكنه صفاته ... فللماءِ إغضاء لديه وإطراقُ
ففي اللون بلورٌ ، وفي اللمع لؤلؤٌ ... وفي الطيب قنديدٌ ، وفي النفع دريقُ
وقد عابه قومٌ كلهم له ... على ماتعاطوه من العيب عُشاقُ
وقالوا السيس الصيف يبلي ثيابه ... فقلتُ الفتى في الصيف يُقنعه طاقُ[134]

ولم نجد لوصف الماء صدىً كبيراً في ديوان ابن وكيع ، ولم يأسره نهرٌ بعينه او غدير او ساقيه مثلما فعل الصنوبري مع نهر قويق ، وكثيراً ما يمتزج وصف الماء عنده بوصف الخمرة ، لان جمال الطبيعة يحرك في النفوس ميلاً إلى الاستماع ، واللهو ، والطرب ، وهذا مانجده في قوله : [المنسرح]

قم فاسقني والخليج مضطربٌ ... والريح تثني ذوائبَ القُضُبِ
كأنها والريحُ تَعْطفُها ... صَفّ قنا سُندسية العذبَ[135]

من الملاحظ ان الشاعر كان يحب شرب الخمر على الأنهار بكل حالاتها ففي النص السابق كان يدعو إلى شربها والخليج مضطرب وهائج ، وفي نصٍ آخر يدعو إليها أيضا والمياه صافيه هادئة في قوله : [الرجز]

خذها بكفي فاتر الجفون
على خليج املس المتون
امواجه كعكن البطون[136]

ولما أراد ابن وكيع ان يصف غديراً عندما تمر عليه الريح ظهر تأثره واضحاً بالصنوبري وهو يصف قويق ومرور النسيم عليه ، وإذا كان البحث لايؤمن بمسألة السرقة ، فإننا نميل إلى القول : بأن تشابه بيئتي الشاعرين يؤدي إلى توارد خواطرهما « وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتي الأخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء الأول به وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر »[137] وكثيراً ما كانت تثار هذه القضية قديماً « وقد سُئل ابو عمر بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى فقال : عقول رجال توافقت على ألسنتها »[138] .

وقول ابن وكيع هو : [المتقارب]

غدير يُدرجُ امواجهُ ... هبوب النسيم ومرُّ الصبا
إذا الشمس من فوقه اشرقتْ ... توَهمتهُ جوشناً مذهبا[139]

يشبه قول الصنوبري في وصفه لقويق عندما قال : [الطويل]

إذا عبثت ايدي النسيم بوجهه ... وقد لاح وجهٌ منه ابيضُ بَراقُ
فَطَورْاً عليه منه درعٌ خفيفةٌ ... وطوراً عليه جوشنٌ منه رقزاقُ[140]

فأبن وكيع جاء بمعنى ضبابي بعيد ، أما نص الصنوبري ففيه من الرقة ، والحنان ما يشعرك بأنه يداعب حبيباً او طفلا مقرباً.

وأحب الصنوبري الماء عندما يكون صافياً وهادئاً حتى يمكنك أن ترى قعره فترسب عينك في قعره كباقي الرواسب فقال : [السريع]

يـــا حُســـنها مـــن بركـــةٍ أفـــردَتْ ... بالحســـنِ إحســـاناً مـــن الواهـــب
كأنمـــا الأعـــين فـــي قُعْرهـــا ... راســـبةً إثـــرَ القَـــذى الراسِـــبْ[141]

وهذا ما احبه ابن وكيع أيضاً في الماء أن يكون صافياً كالمرآة فقال في ذلك : [الرجز]

وقـــــد حكـــــى غَـــــديرُهُ ... فـــي زهـــره حـــين إغـــتمطّ
مـــــرآة جـــــالٍ مـــــاهرٍ ... موضـــوعةً فـــوق نمـــطْ[142]

المحور الخامس : الفصول الأربعة

ولم يترك الشاعران – موضع الدراسة – التغني بالفصول الأربعة وكان الصنوبري « أول شاعر في الأدب العربي يتغنى بالفصول جميعها مجتمعة ومتفرقة »[143] اذ كان الشعراء قبله يتغنون بجمال الربيع لأنهم رأوا ان هذا الفصل هو الوحيد الذي يستحق الإطراء ، وما سواه من الفصول لا يستحق ذلك[144] وتبعه ابن وكيع في ذلك[145] .

فوصف الصنوبري الصيف بقوله : [الخفيف]

قـــدم الصـــيف والشـــتاء تـــولى ... وتولـــت مقـــدماتُ الشـــتاء
اكتســـاء مـــن النبـــات ولطـــفٌ ... غيـــر لطـــف النبـــات والاكتســـاء
فـــي مـــلاء مـــن الريـــاض وقـــد عطـــ ... ـطَـــل حســـن الريـــاض حســـن المـــلاء
ذهـــبٌ حينمـــا ذهبنـــا ودرٌ ... حـــين درُنـــا ورفقـــةٌ فـــي الفضـــاء
طـــاب هـــذا الهـــوى وازداد حتـــى ... لـــيس يـــزداد طيـــبُ هـــذا الهـــواء[146]

تميز النص ببرودة العاطفة ، وبرصف المعاني بصورة متكلفة من غير براعة[147] ، وكأننا امام ناظم وليس شاعر عرف ببراعته في فن الوصف .

وكان وصف ابن وكيع لهذا الفصل أدق من صاحبه ، فلم يترك صغيرة او كبيرة منه الا أوردها ، اذ شبه حره بنار سقر ، ويومه يبدأ بالندى البغيض ، وبعد ان تظهر الشمس بحرها الشديد نشعر بان مالك النار قد فتح أبواب ناره علينا ، فتظهر علامته على الملابس ، وتصبح المياه حامية حتى تنسي شاربها حمد ربه وشكره ، فيصب جم غضبه في البيت الأخير اذ يلعن ذلك الفصل وكأنه عدو شديد لا يستطيع الانتصار عليه كل هذا في قوله : [الرجز]

فصـــل مـــن الـــدهر إذا قيـــلَ : حضـــرْ ... أذكرنـــا بحـــرِّه نـــار سَـــقر
نهـــاره مُقَسَّـــم بـــين قِسَـــمْ ... جميعُهـــا عنـــدي تُعـــابُ وتـــذمْ
أولـــهُ فيـــه نـــدى مُـــبغضُ ... كأنـــهُ علـــى القلـــوب يَقْـــبضُ
يلصـــقُ منـــه الجســـمُ بالثيـــابِ ... وتَعلَـــقُ الاذيـــالُ بـــالتراب
حتـــى إذا ماطردتـــهُ الشـــمس ... وفرحـــت بـــان يـــزولَ الـــنفس
فتحـــت النـــار لنـــا أبوابهـــا ... وشـــبَّ فيهـــا مالـــك شِـــهابَها
شـــاربه يكْـــرعُ فـــي حمـــيمِ ... كانـــهُ مـــن ســـاكني الجحـــيمِ
ينســـيه مـــايلقى مـــن التهابـــهِ ... ان يحمَـــدَ الله علـــى شـــرابه
فـــلا تقـــل إن جـــاء يومـــاً أهـــلاً ... فلعنـــة الله عليـــه فصـــلاً[148]

وكان للخريف حظٌ أوفر من الصيف في نفس الصنوبري ، ففيه الرقة ، والهواء الخفيف ، والنسيم الضعيف ، والفواكه ، وكان لوقوعه بين فصلين اثر جميل في نفس الشاعر فهو الزمان الظريف فقال: [الخفيف]

إنهـــا دولـــة الريـــاحين والـــرا ... حِ ومســـتقبل الزمـــان الظريـــف
مـــا قضـــى فـــي الربيـــع حـــق الفتـــوا ... تِ مُضـــيعٌ لحقهـــا فـــي الخريـــف
نحـــن فيـــه علـــى تلقـــي شـــتاءٍ ... يوجـــبُ القصـــفَ او وداع مصـــيفِ
فـــي قمـــيص مـــن الزمـــانِ رقيـــقٍ ... ورداءٍ مـــن الهـــواء خفيـــفِ
يُرْعَـــدُ المـــأءُ فيـــه خوفـــاً إذا مـــا ... لمســـته يـــدُ النســـيمِ الضـــعيف
دَهْرُنـــا فـــي فوكـــهٍ وفكاهـــا ... تٍ حِســـانِ الصُّـــنوفِ والتصـــنيف
فـــي ليـــالٍ نجومُهـــا كالعـــذارى ... يتَـــراءَين مـــنْ خـــلالِ السُّـــجوفِ[149]

لقد لامس الخريف وجدان الشاعر وإحساسه فتناوله بصور عفوية صادقة مدعومة بخيال هادى[150] ، وَفصّل ابن وكيع في عيوب الخريف الا انه أحسن من فصل الصيف – عنده – على الرغم من تقلبات الجو فيه وكأنك أمام شاب ارعن لا يستقر على حال حتى شابه الموت في اليبس والبرودة ، ولا يمكنك شرب الخمر فيه لان شاربها سيبقى حذراً مما سيحدث لاحقا فقال : [الرجز]

حتـــــى إذا زالَ أتـــــى الخريـــــفُ ... فَصـــــلُ بكـــــلُّ ســـــوأةٍ معـــــروفُ
أهويـــــةٌ تُســـــرعُ فـــــي كـــــل الجســـــدْ ... وهـــــو كطبـــــعِ المـــــوت يُـــــبسٌ وبـــــردْ
لا يمكـــــنُ النـــــاسُ اتقـــــاءُ شـــــره ... علـــــى اخـــــتلاف بـــــردِهِ وحـــــرهِ[151]

لقد اختلف الشاعران في نظرتيهما لهذا الفصل فالصنوبري نظر إليه نظرة تفاؤل إذ أحصى محاسنه مثل اعتدال جوه وفواكهه وإيذانه بحلول فصل الشتاء ، وعده دوله الراح على عكس ابن وكيع الذي نظر إليه نظرة تشاؤم فوصف عيوبه وتقلبات جوه ، وعدم مناسبته لشرب الخمر ، وكلا الشاعرين له الحق فيما قالاه ، لان كلاً منهما قد نظرَ اليه بمنظاره الخاص وبقناعته ، وان ابن وكيع عندما جمع الفصول كلها في أرجوزته ، أراد موازنتها بالربيع فذمَّها كلها ليصل إلى نتيجة مفادها ان فصل الربيع هو أجمل الفصول وأفضلها بينما نص الصنوبري كان يعبر عن موقف خلال لحظه معينة كانت مبهجه فظهر ذلك الابتهاج في نصه ، والنص وليد لحظته .

أما الشتاء فكان يستبشر به الصنوبري ويفرح بمجيئه لأنه ينهي الحر وتسقط فيه الأمطار التي تهزم الغبار ، فتزهر الأرض بالأنوار التي أفسدها حر الصيف فقال: [الرجز]

هـــا قـــد دنـــت عســـاكر الأمطـــار ... وأطلِـــقْ القُـــرُّ مـــن الإســـار
واشـــرفَ الحَـــرُّ علـــى البـــوار ... وقَربـــتْ هزيمـــةُ الغُبـــارِ
فـــالآن تـــأتي دولـــةُ القِطـــار ... وَيُصْـــلحُ الشـــتاءُ للأبصـــارِ
مـــا افســـد الغـــيظ مـــن الأنـــوار ... مـــن اصـــفرار ومـــنَ احمـــرارِ[152]

ولفرحته بالشتاء سببٌ اخر فجوه يحث على إقامة مجالس السمر وشرب الخمر لذلك يطيب له الاقامة في بيته مع الكأس وأصوات الطنابير في قوله: [المنسرح]

طيـــب داري لـــيَ الشـــتاءُ وهـــلْ ... شـــيءٌ كشـــيٍ يُطيـــبُ الـــدورا
لله يـــومٌ هنـــاكَ قـــد ضَـــرَبَ الـــ ... غـــيمُ لنـــا دونَ شَمْسِـــهِ سُـــورا
والسُّـــحبُ مشـــغولةٌ ببركتنـــا ... تصـــوغُ مـــن مائهـــا قـــواريرا[153]

ويغالي في حبه للتمتع بالشتاء فيدعوا الناس لترك طلب الرزق في هذا الفصل وينقطعوا لهذه المجالس ، ويتركوا الحصول على الرزق إلى ايام الصيف في قوله : [المنسرح]

يـــا طالـــبَ الـــرزقِ فـــي الشـــتاءِ دعِ الـــر ... زق إلـــى الصـــيفِ يـــأتِ موفـــورا
هـــي المقـــاديرُ لســـتَ تَقْـــدِرُ انْ ... تَعْـــدوا أرزاقـــك المقـــاديرا[154]

حتى إن حب هذا الفصل بلغ في نفس الشاعر مبلغاً عظيماً فجعل لذة برده كلذة الوصال عند عاشقٍ ذاق طعم الهجر والفراق فقال : [الخفيف]

فـــي شـــتاءٍ لِبَـــرْدِه لـــذةٌ لـــذْ ... ذةَ بَـــرْدِ الوصـــالِ للمهجـــورِ[155]

كل هذا الحب الذي يكنه الشاعر لفصل الشتاء لم يمنعه من ان يذكر عيوبه عندما قارنه بباقي الفصول ؛ لان الجو فيه يكون محصوراً ، فلا يمكن للشاعر واصدقائه ان يباشروا مجلسهم في اي مكانٍ مفتوح سوى البيوت في قوله :
[البسيط]

وإن يكن في الشتاءِ الغبثُ مَّتصلاً ... فالأرض محصورةٌ والجوُّ محصورُ [156]

وإذا انتقلنا إلى ابن وكيع لنعرف رأيه في فصل الشتاء تجده يختلف تماماً عن رأي الصنوبري إذ لم يترك له أي منقبةٍ وعده داهية شديدة لما يحمله من هموم وكوارث ؛ فصوت رعده كصوت الأسود ، ورياحه تضر بالعيون والسمع فتحدث الزكام ، اما أمطاره فتحول بينه وبين لقاء الأحبة، وقد يسقط السقوف إذا كان ذلك المطر مستمراً ، ومن برودته تلبس الملابس السميكة التي تحول النحيف بديناً لكن بسمنةٍ غير جميلة فقال : [الرجز]

حتـــــى إذا ماقبـــــل الشـــــتاءُ ... جاءتـــــك منـــــه عُمّـــــةٌ غَمَّـــــاءُ
تأتيـــــك فـــــي إبانِـــــه ريـــــاحُ ... لـــــيس علـــــى لاعنهـــــا جُنـــــاحُ
يَحـــــدثُ مِـــــنْ أفعالهـــــا الزُّكـــــامُ ... هـــــذا إذا مافاتـــــكَ الصِّـــــدام
ثـــــم يَليهـــــا مَطـــــرٌ مُـــــداوِمٌ ... كأنـــــهُ خَصْـــــمٌ لنـــــا مُـــــلازمُ
يَقطَعُنـــــا بَعْضـــــاً عـــــن الطريـــــقِ ... وعـــــن قضـــــاءِ الحَـــــقِّ للصـــــديقِ
وربمـــــا خَـــــرّ عليـــــكَ الســـــقفُ ... فـــــان عّفـــــا عنـــــك اتـــــاكَ الوكـــــف
هـــــذا وكـــــم فيـــــه مـــــن المغـــــارم ... وكثـــــرة الانفـــــاق للـــــدراهم
فـــــي ملـــــبسٍ يـــــدفعُ شـــــر بَـــــرْدِهِ ... بكـــــفّ عّنـــــا منـــــه غَـــــرْبَ حَـــــدِّه
ملابـــــسٌ تُعـــــي الجليـــــد حَمْـــــلا ... كأنمـــــا يـــــدفع منهـــــا جِمْـــــلا
يحكـــــي بهـــــا المنحـــــوف اصـــــحاب السِّـــــمنْ ... لكـــــن تـــــراه سِـــــمناً غيـــــر حسَـــــنْ[157]

وصف الشاعر عيوب هذا الفصل وصفاً مفصلاً فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها مثلما فعل مع باقي الفصول ليصل إلى نتيجة مفادها ان فصل الربيع هو أفضل الفصول وأجملها ، اما الصنوبري فكان يورد نصوصه التي يصف فيها الفصول ضمن سياق قصائد مركبة لم يفردها لهذا الغرض ، لذلك لم يستقطب الموضوع كل إمكانات الشاعر اللغوية ، والفنية ، كثيراً ما كان ينظم نصه وهو جالس في مجلس شراب وانس يملأه السرور والنشوة ، لكنه عندما قارن وفاضل بين الفصول نجده قد عابها جميعاً ليصل لنفس النتيجة التي وصل اليها ابن وكيع في تفضيله لفصل الربيع على بقية الفصول في قوله : [البسيط]

إن كـــان فـــي الصـــيف ريحـــانٌ وفاكهـــةٌ ... فـــالأرض مســـتوقدٌ والجـــو تنّـــورُ
وان يكُـــن فـــي الخريـــفِ النخـــل مخترفـــاً ... فـــالأرض عريانـــةٌ والجـــوُّ مَقـــرُورُ
وإن يكـــن فـــي الشـــتاء الغيـــث مَّتصـــلاً ... فـــالأرض محصـــورةٌ والجـــوُّ محصـــور
مـــا الـــدهرُ إلا الربيـــعُ المســـتنيرُ إذا ... أتـــى الربيـــع أتـــاك النَّـــوْرُ والنـــورُ[158]

أورد الشاعر منغصات كل فصل بلمحات سريعة خاطفة ولم يفصل فيها كتفصيل ابن وكيع في ذلك لأنه اراد الإسراع ليمعن في تصوير الاستبشار والنمو والتفتح في جنبات الطبيعة في فصل الربيع فألهاه ذلك عن التفصيل بعيوب الفصول الأخرى ، الا ان ابن وكيع كان عازماً على التفصيل متعمداً له لتكون له الريادة بهذا الجانب .

وفصلهما الأثير الربيع نظما فيه القصائد والمقطوعات ، فهذا الصنوبري يدعو صاحبته لان تقوم وتستمتع بجمال الربيع وهو بهذه الدعوة يريد من جميع الكائنات ان تشاركه فرحته بمجيء الربيع الذي اظهر محاسن الأرض التي اخفتها برودة الشتاء بنصٍ ينبض حيوية وحياة في قوله : [الكامل]

يـــا ريـــمُ قـــومي الان ويحـــك فـــانظري ... مـــا للربـــى قـــد أظهـــرت إعجابهـــا
كانـــت محاســـنُ وجههـــا محجوبـــةً ... فـــالآن قـــد كشـــفَ الربيـــعُ حجابهـــا
وردٌ بـــدا يحكـــي الخـــدود ونـــرجسٌ ... يحكـــي العيـــون إذا رأت أحبابهـــا[159]

ومثل هذا المعنى طرقه ابن وكيع لما وصف الربيع لكن بصورة مختلفة وجميلة ، فالرياض هي اسرار الثرى التي يفشيها الربيع ، وهي ليس كباقي الأسرار يزينها الكتمان ، بل سر جمالها بالإفشاء في قوله :[الرجز]

هـــذا وفيـــه للريـــاض مَنظَـــرُ ... يُفشـــي الثـــرى مـــن ســـرها مـــا يضـــمرُ
سِـــرٌّ نَبـــاتٍ حُســـنُهُ إعلانُـــهُ ... إذا سِـــواهُ زانـــه كِتْمانُـــهُ[160]

وقد رحب الشاعران بقدومه بألفاظ متشابهة كقول الصنوبري : [الكامل]

قـــدِمَ الربيـــع فَكـــانَ احْسَـــنَ قـــادِمٍ ... فـــي موكـــب الأزهـــار أحســـن موكـــب[161]

ومثله قول ابن وكيع : [الرجز]

جـــاء إلينـــا زمـــن الربيـــعِ ... فجـــاء فصـــلاً أحســـن الجميـــع[162]

وشبه الصنوبري زرعه بالعساكر المصطفة في نظامٍ معين فقال : [الكامل]

والـــزرعُ شــبهُ عســاكرٍ مُصــطفةٍ قــد فوّقــتْ عــن قَسْــيها نُشّــابَها[163]

ونفس هذا التشبيه نفسه استعمله ابن وكيع في وصف نبات الربيع في قوله: [لرجز]

فيــه ضــروبٌ للنبــاتِ الغَــضِّ يحكــي لبــاس الجُنــدِ يــومَ العَــرْضِ[164]

وترديد الفكرة نفسها يوحي بتأثر الثاني بالأول .
ووصف الصنوبري إزهار الربيع وأشجاره، وغناء الحمام فيه فقال : [الخفيف]

قــد تجلــىَّ الربيــعُ فــي حُلــل الزهــ ـرِ وصــاغ الحَمــامُ حَلْــيَ الأغــاني
زُينــتْ أوجهُــهُ الريــاض فاضــحتْ وهــي تُزْهــى علــى الوجــوهِ الحســانِ[165]

ومثل هذه الفكرة طرقها ابن وكيع عندما وصف الربيع وزينها بمسحةٍ من إحساسه الرقيق فنقلنا معه إلى ذلك الجو الجميل في قوله : [الرجز]

فيــه تظــلُّ الطّيــرُ فــي تَــرَنمِ حاذِقَــةً بــاللحن لــم تُعَلــمِ
غناؤهــا ذو عُجْمــةٍ لا يَفْهمُــهْ ســامعُهُ وهــو علــى ذا يُغرَمُــه
فــي كُــل دبســي لــه رنــينُ وكــل قُمْــري لــه حَنــينُ[166]

وفي هذا الجو البهيج يحلو لشاعرينا شرب الخمر من دون منغص لهذه النشوة لان هذا الفصل خالٍ من المنغصات ، وجوه يدفعهما إلى التمتع بشربها وفي ذلك قال الصنوبري : [البسيط]

نَشــرُ الربيــع علــى الصــحراء منثــورُ ومســك إذار فــوقَ الأرض مَــذرورُ
قــم عَصْــفَرِ الكــأس مــن قبــل الإذان فــإن يَقــمْ يُؤذننــا بالصــبح عُصْــفورُ[167]

ومثل هذا ما قاله ابن وكيع : [الطويل]

لَسْــتَ تــرى وَشْــيَ الرَّبيــعِ المُنَمْنمــا ومــا رَصَّــعَ الربَّعــيُّ فيــهِ وَنَظّمــا
قــد حَلَــتِ الأرض والســماءَ بنورْهــا فلــم أدْر فــي التشــبيه أيهُمــا الســما
فقــمْ فاســقني مــا حَرَّمــوهُ فمــا ارى مــن العــيش حُلْــواً غيــر مــا قيــل حُرِّمــا[168]

فكانت أفكار الشاعرين متقاربة في وصفهما الربيع ، لهذا يمكننا ان نقول إن ابن وكيع قد تأثر بالصنوبري، والصنوبري اول من تناول الفصول جميعاً في الوصف و المفاضلة – كما أسلفنا – فأكمل ابن وكيع ما بدأ به الصنوبري بأسلوبه وبتفصيلاتٍ متقنه افتقر إليها وصف الصنوبري .

الخاتمة

عنت الدراسة بتفصيل نقاط التشابه والاختلاف بين الشاعرين – موضع الدراسة – والموازنة بينهما - ،ويمكن أجمال أبرز النتائج التي تمخض عنها هذا البحث بالاتي :

1- عشق الشاعرين الطبيعة الصامتة ، وقدما فيها لوحات فنية تمزج بمشاعرهم وأحاسيسهم عبرا بها عن الطبيعة الساحرة التي كانت تتمتع بها مدنهم الجميلة ، وكان للأزهار نصيبٌ وافرٌ من هذه الأوصاف فتغزلا بها وناظرا بينها بإسباغ الحياة عليها فجعلاها تعشق وتغار وتغضب ، وفاضلا بينها على غرار ما فعله ابن الرومي في تفصيله زهرة على اخرى .
2- تمكن الشاعران من اختيار أوصافهما بالفاظ بسيطة موحية بما يتلاءم وظروف الحدث .
3- وصف الشاعران السحاب والأمطار ونتائجها على الرياض ، كما وصفا الليل بأسلوب اخباري بعيد عن حرارة العاطفة ، لأنهم انسوا به وسط مجالس اللهو والمجون .
4- وكان للفصول الأربعة نصيبٌ من أوصاف الشاعرين اذ فاضلا بينها ، وأظهرا عيوب كل فصلٍ باستثناء فصل الربيع الذي اتفق الشاعران على أنه أجمل الفصول وأروعها .
5- قدم الشاعران دعوة تجديدية ، عندما سخرا من الوقوف على الأطلال ، ودعا إلى نبذ هذه الظاهرة ، وهي امتداد لدعوة ابي نواس ومن حذا حذوه ، وأرادها الصنوبري روضية ، وأحبها ابن وكيع خمرية .

هوامش البحث :

(1) هذا ماأطلقه عليه الدكتور حسين نصار عندما جمع جانباً من أشعاره في ديوان سماه: (ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر) ، طبع في مكتبة مصر / جامعة القاهرة / كلية التربية / (د.ت) .
(2) ينظر : فوات الوفيات : 1 / 111 .
(3) ينظر : الفهرست : 277 .
(4) ينظر : البداية والنهاية : 119/11 .
(5) تاريخ دمشق الكبير : 546/1 .
(6) ينظر : الفهرست 277 .
(7) ينظر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : 1/ 463 .
(8) ينظر : : تاريخ الادب العربي : العصر العباسي الثاني ، 2 : 348 .
(9) ينظر : ديوان الصنوبري : 209 ، 212، 241 ، 368 على سبيل المثال .
(10) وهي القوافي التي يأتي الروي فيها على احد حروف النفر على رأي عبد الله الطيب المجذوب – كالصاد والزاي ، والضاد ، والزاي . ينظر : المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها 46/1 – 62 .
(11) ينظر : شرح بائية ذي الرمة : 12 .
(12) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 366 .
(13) م.ن : 1 / 365 .
(14) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : 1 / 194 .
(15) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني : 104 .
(16) شعر الطبيعة في الادب العربي : 211 .
(17) ينظر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 473 .
(18) ينظر : : تاريخ الادب العربي : 2 / 97 .
(19) ديوان الصنوبري : 219 .
(20) الاعلام : 2 / 217 -218 .
(21) ينظر : وفيات الاعيان : 1 / 243 .
(22) ينظر : لسان العرب : مادة (وكع) / 8 / 408 .
(23) وفيات الأعيان : 1 /244 .
(24) ينظر : الفهرست : 182 .
(25) يتيمة الدهر : 1 / 317 .
(26) اذ جمع الدكتور حسين نصار ما بقى من شعره وجمعه في ديوان اطلق عليه اسم (ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر) ، ثم عثر الاستاذ هلال ناجي على مخطوطة (عذر الخليع بشعر ابن وكيع) عند احد المغاربة ، فأضافها الى ماموجود من أشعاره في ديوان سماه (ديوان الحسن بن علي الضبي الشهير بابن وكيع التنسي)
(27) نزهة المجالس وانس المجالس : 1/ 126 .
(28) اسم الكتاب (المنصف للسارق والمسروق منه) / حققه عمر خليفة بن ادريس ، جامعة تاريونس .
(29) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : 1 / 207 .
(30) ينظر : الوافي بالوفيات : 6 / 337 .
(31) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : 1 / 30 .
(32) وفيات الأعيان : 1/ 243 .
(33) معجم البلدان : 2 / 282 .
(34) مروج الذهب ومعادن الجوهر : 1 / 356 .
(35) ديوان الصنوبري : 363 .
(36) ديوان الحسن بن علي الضبي : 55 .
(37) م . ن : 126 .
(38) ديوان الصنوبري : 216 .
(39) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 94 .
(40) كتاب النساء ، مجلة المورد : ع : 5 ، 1997 : 50 .
(41) ديوانه الصنوبري : 401 .
(42) ديوان الحسن بن علي الضبي : 57 .
(43) ينظر : نقد الشعر : 158 ، ودلائل الإعجاز : 26 ، ومما يروى في ذلك ان السيد الحميري سأله احدهم بقوله : لماذا لا تستعمل في شعرك من الغريب لكي تسأل عنه ، كما يفعل الشعراء ؟ فقال : لا أقول شعراً قريباً من القلوب يلذ من سمعه خير من ان اقول شيئاً معقداً تضل فيه الأوهام ينظر : الأغاني : 7 /268 .

(44) ديوان الصنوبري : 390 .
(45) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
(46) ديوان الصنوبري : 76 .
(47) م.ن: 445 – 446 .
(48) ديوان الحسن بن علي الضبي : 68 .
(49) م.ن : 63 .
(50) ينظر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 365 .
(51) ينظر : ديوان الصنوبري : 71 ، 121 ، 397 ، 176 على سبيل المثال .
(52) ينظر: م.ن : 126 ، 448 على سبيل المثال .
(53) ينظر : ديوان الصنوبري : 71 ، 325، 367 على سبيل المثال .
(54) ينظر : م.ن : 222 ، 421 على سبيل المثال .
(55) ينظر : م.ن : 71 ، 363 على سبيل المثال .
(56) ينظر : ديوان الحسن بن علي الضبي : 61 ، 64 ، 120 على سبيل المثال .
(57) ينظر :م.ن : 64 ، 113 ، 122 على سبيل المثال .
(58) ينظر : م.ن : 137 ، 138 ، 139 على سبيل المثال .
(59)ينظر : م.ن : 57 ، 117 على سبيل المثال .
(60) ديوان الصنوبري : 53 .
(61) ديوان الحسن بن علي الضبي : 86 .
(62) ديوان الحسن بن علي الضبي : 60 .
(63) هو نبت له ورق شبيه بورق الكراث ، الا انه ادق منه ، واصغر ، والنرجس كاليعفور ، والبري ، والمضعف ، وهو اجود انواع النرجس ينظر : كتاب النبات : 32 .
(64) ديوان الصنوبري : 179 .
(65) ديوان الحسن بن علي الضبي : 120 .
(66) هو زهر بري قاني الحمره ، دقيق الساق ، عديم الرائحة ، ومفرده شفيقه سمي كذلك لحمرته على التشبيه بشفيقة البرق ، اضيفت الى النعمان بن المنذر ، لانه جاء الى موضع وقد أعتم نباته ، وفيه من الشقائق ماراقه ، فقال ماحسن هذه الشقائق احموها ، وكان اول من حماها بنظر القاموس المحيط : 3 / 25 .
(67) ديوان الصنوبري : 309 .
(68) ديوان الصنوبري : 325 .
(69) ديوان الحسن بن علي الضبي : 137 .
(70) ديوان الصنوبري : 389 .
(71) م.ن: 435 .
(72) ديوان الحسن بن علي الضبي : 57 .
(73) ينظر : غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : 99 .
(74) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
(75) ديوان الصنوبري : 225 .
(76) ديوان الحسن بن عي الضبي : 57 – 58 .
(77) ديوان الصنوبري : 73 .
(78) ديوان الصنوبري : 73 – 74 .
(79) ديوان الحسن بن علي الضبي : 61) 62 .
(80) ديوان الصنوبري :448 .
(81) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
(82) ينظر : ديوان الصنوبري : 448 .
(83) م.ن: 71 .
(84) ديوان الصنوبري : 430 .
(85) ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي : 67 .
(86) م.ن : 53 .
(87) ديوان الصنوبري : 76 .
(88) ديوان الحسن بن علي الضبي : 46 .
(89) جمهرة الامثال : 104/1 .
(90) ديوان الصنوبري : 402 .
(91) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 152 .

(92) ديوان الصنوبري : 412 .
(93) م.ن: 420 .
94) ديوان الصنوبري : 431 .
(95) شهل العين ان يثوب سوادها زرقة ، والعين الشهلاء التي يكون بياضها ليس بخالص، ينظر : لسان العرب / مادة شهل : 373/11 .
(96) الدعج شدة سواد العين ، وشدة بياض بياضها ، وقيل شدة سوادها مع سعتها بنظر لسان العرب مادة دعج : 2 / 271 .
(97) وهي بردة من صوف فيها سواد وبياض ينظر : لسان العرب : مادة تسبيح 294/2 .
(98) ديوان الحسن بن علي الضبي : 113 .
(99) ديوان الصنوبري : 79 .
(100) ينظر : فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث : 98 .
(101) ينظر : الطبيعة في العصر الجاهلي : 245 .
(102) م.ن : 47 .
(103) الطبيعة في العصر الجاهلي :245 .
(104) ديوان الصنوبري :33 .
(105) ديوان الصنوبري : 81 .
(106) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
(107) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 125
(108) ديوان الحسن بن علي الضبي : 49 .
(109) ديوان الصنوبري : 81 .
(110) ديوان الصنوبري : 24 .
(111) ديوان الحسن بن علي الضبي : 130 .
(112) ينظر : الليل في الشعر الجاهلي : 104 .
(113) ينظر : م.ن: 141 .
(114) ينظر : الأنواء في مواسم العرب : 10 .
(115) الأزمنة والأمكنة : 137 – 138 .
(116) ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي : 64- 65 .
(117) كانت مواقف الشعراء مع الليل متباينه منذ القدم ، فثمه من رأى فيه مصدراً للقلق والهموم كما هو حال عند عبيد ابن الابرص في قول

وخرقٍ تصبحُ الهامُ فيه مع العَّدى مُخوفٍ إذا ماجنه الليل مرهوبِ

ينظر : ديوان عبيد بن الابرص : 61 ، وقد يكون مصدراً للفرح إذ يلتقي الشاعر به بمحبوبته كقول امرىء القيس: [الطويل]

تضيء الظلامَ بالعشاء كأنها منارة مُمسى راهبٍ متبتلِ

ينظر : ديوان امرىء القيس : 17.

(118) ديوان الصنوبري : 64 .
(119) ديوان الحسن بن علي الضبي : 125 – 126 .
(120) ديوان الصنوبري : 66 .
(121) ديوان الحسن بن علي الضبي : 112 .
(122) ديوان الصنوبري : 422 .
(123) م.ن: 429 .
(124) ديوان الحسن بن علي الضبي : 108 .
(125) ديوان الحسن بن علي الضبي: 102 .
(126) م.ن :75 .
(127) ديوان الصنوبري : 60 .
(128) ديوان الصنوبري : 124 .
(129) ديوان الحسن بن علي الضبي : 75 .
(130) ينظر : الطبيعة في العصر الجاهلي : 112 .
(131) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : 259 .
(132) ديوان البحتري : 1281 .
(133) ينظر : ديوان الصنوبري : 222 ، 559 ، 357 على سبيل المثال .

(134) ديوان الصنوبري : 357 – 358 .
(135) ديوان الحسن بن علي الضبي : 110 .
(136) ديوان الحسن بن علي الضبي : 140 .
(137) المثل السائر : 1 / 46 .
(138) صبح الاعشى في صناعة الانشا : 2 / 317 .
(139) ديوان الحسن بن علي الضبي :129 .
(140) ديوان الصنوبري : 358 .
(141) م.ن: 387 .
(142) ديوان الحسن بن علي الضبي : 129 .
(143) الصنوبري شاعر الطبيعة : 148 .
(144) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : 267 .
(145) اذ تناول الفصول جميعها بطريقة قصصية جميلة مزدوجة رجزية في غاية الروعة والاتقان ، فوصف ، وقارن ، واستنتج باسلوب مباشر وبألفظ سهلة وواضحة ، وعدم تقيده بقافيه واحدة اتاح للشاعر حرية كبيرة في رصد كل كبيرة وصغيرة لكل فصل ينظر : ديوان الحسن بن علي الضبي : 32 وما بعدها .
(146) ديوان الصنوبري : 380 .
(147) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 157 .
(148) ديوان الحسن بن علي الضبي : 32 وما بعدها .
(149) ديوان الصنوبري : 310 .
(150) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 158 .
(151) ديوان الحسن بن علي الضبي : 34 .
(152) ديوان الصنوبري : 32 .
(153) ديوان الصنوبري : 28 .
(154) م.ن: 29 .
(155) م.ن : 44 .
(156) م.ن : 42 .
(157) ديوان الحسن بن علي الضبي : 35 – 36 .
(158) ديوان الصنوبري : 42 .
(159) م.ن : 389 .
(160) ديوان الحسن بن علي الضبي : 37 .
(161) ديوان الصنوبري : 399 .
(162) ديوان الحسن بن علي الضبي : 36 .
(163) ديوان الصنوبري : 39 .
(164) ديوان الحسن بن علي الضبي : 37 .
(165) ديوان الصنوبري : 447 .
(166) ديوان الحسن بن علي الضبي : 37 .
(167) ديوان الصنوبري : 86 .
(168) ديوان الحسن بن علي الضبي : 86 .

المصادر والمراجع :

1- اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري ، نبيل خليل ابو حلتم ، دار الثقافة ، الدوحة .
2- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت 845 هـ) ، تحقيق د.محمد حلمي محمد أحمد ، لجنة إحياء التراث ، القاهرة ، 1996م.
3- أروع ما قيل في الوصف ، د.يحيى الشامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، 1994م .
4- الأزمة والأمكنة ، للشيخ أبي علي المرزوقي الأصفهاني ، ط1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر أباد ، الهند ، 1332 هـ .
5- الانواء ومواسم العرب ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988 م .
6- البداية والنهاية ، للأمام الحافظ المحدث الفقيه عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي الشهير بأبن كثير (ت 701 هـ - 774 هـ) اعتنى بها حسان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية .
7- تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف ، ط12، دار المعارف ، القاهرة ، 2001 .
8- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام ، ادم متز ، نقله الى العربية محمد عبد الهادي ابو زبدة ، ط2 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1947 م .
9- ديوان الاخطل (92 هـ) غياث بن عوف ، شرحه عبد الرحمن المصطاوي ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2003 م .
10- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط4 ، دار المعارف ، مصر ، 1984 م .
11- ديوان البحتري ، (284 هـ) ، طبعه وعلق عليه رشيد عطية ، طبع في بيروت ، لبنان ، 1996 م .
12- ديوان الحسن بن علي الضبي الشهير بابن وكيع التنسي (ت 393 هـ) ، تحقيق هلال ناجي ، ط1 ، دار الجبل ، بيروت ، 1991 م .
13- ديوان ذي الرمة (ت 177 هـ) غيلان بن عقبة بن مسعود المعدوي المصري ، شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطباع ، ط1 ، دار الارقم بن ابي الارقم ، بيروت ، لبنان ، 1998 م .
14- ديوان الصنوبري ، احمد محمد بن الحسن الضبي ، تحقيق د. احسان عباس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1998 م .
15- شعر الطبيعة في الادب العربي ، د. سيد نوفل ، ط2 ، دار النمعارف ، القاهرة ، 1978م.
16- الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني ، سعود محمود عبد الجبار ، ط1 ، جامعة قطر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981 م .
17- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ابو العباس احمد علي القلقشندي ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط1 ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة .
18- الصنوبري شاعر الطبيعة شاعر حلب ، عبد الرحمن عطية ، دار الاوزاعي ، سوريا ، حلب ، 2005 م .
19- الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري حمودي القيسي ، مراجعة وتصحيح الدكتور محمد بن عبد اللطيف ، ط1 ،عالم الكتب للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2004 م .
20- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده ، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، دار الجيل ، بيروت ، 1972 م .
21- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، على بن ظافر الازدي المصري ، تحقيق محمد زغلول سلام ، مصطفى الهاوي الجويني .
22- فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث (1800 – 1925 م) ، د. محمد حسن علي الحلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1989 م .
23- الفهرست ، تأليف ابي الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق المعروف بابن النديم ، ضبطه وقدم له الدكتور يوسف علي طويل ، وضع فهارسه احمد شمس الدين ، ط2 ، منشورات محمد علي بيضوي لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2002 م .
24- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب القيروز أبادي ، اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرقشلي ، ط2 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 2003 م .
25- كتاب النساء ، مجلة المورد ، مجلة دورية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ع : 5 ، 1997 م .
26- لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، المطبعة الميرية ببولاق ، مصر .
27- الليل في الشعر الجاهلي ، د. نوال مصطفى ابراهيم ، المطبعة العربية ، دار البازوردي العلمية للنشر والتوزيع ، 2009 .
28- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي المعروف بأبن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1995 م .
29- المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
30- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي (ت346 هـ) ، تحقيق أمير مهنا ، ط2 ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 2000 م.

31- معجم النبات والزراعة ، تأليف الشيخ محمد حسن الياسين ، مطبعة المعجم العلمي العراقي .
32- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار ، تأليف تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي ، وضع هوامشه : خليل منصور ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 م .
33- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، (ت 764 هـ) ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 2000 م .
34- الوصف ، د.محمد سعيد الدهان ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) .
35- الوصف في الشعر العراقي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، د. جميل سعيد ، مطبعة الهلال ، بغداد ، 1948 م .
36- الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم قناوي ، مطبعة الحلبي ، مصر .
37- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (608 – 681 هـ) ، تنقيح محمد عبد الرحمن المرعشلي ، فهرسة رياض عبد الله عبد الهادي ، دار احياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان .
38- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، ابي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت429 هـ) ، تحقيق : د.مفيد محمد قمية ، منشورات محمد علي بيضوي ، دار الكتب العلمية ، لبنان .